أضواء على نهج البلاغة

الجزء الخامس

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٥ - ٩١٤

أضواء على نهج البلاغة

بشرح ابن أبي الحديد في استشهاداته الشعرية

الجزء الخامس

تأليف

الدكتور علي الفتال

إصدار

مؤسسة علوم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة علوم نهج البلاغة
www.inahj.org
Email: inahj.org@gmail.com
موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الضوء الأول

التمثيل

اخترت لهذا الباب من الجزء الخامس عنوان {التمثيل}، وأعني به؛ أنَّ المتحدِّث - سواءً كان الإمام علي عليه السلام أو غيره - كان يستشهد ويتمثَّل بأقوال غيره، شعراً كانت تلك الأقوال أو نثراً، وهذا ضوءٌ مهمٌّ للوقوف على ما لأدب العصر ذاك من أهمِّية في التمثيل به من بلغاء العرب وفي رأسهم الإمام علي عليه السلام، الذي [سنَّ البلاغة لقريش].

وإليك - قارئي الكريم - العيِّنات تلك من التمثيل:

من خطبةٍ له عليه السلام، وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه في اليمن وهما: عبد الله بن عباس وسعيد بن غران، لما غلب عليهما بُسر بن أرطأة فقام عليه لسلام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم إيَّاه في الرأي، فقال:

{ما هيَ إلاَّ الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم يكن إلاَّ أنتِ هَبٌّ أعاصيركِ فعجلكِ الله}. وتمثَّل بقول الشاعر١ / ٣٣٢:

لعمر أبيك الخير يا عمرو أنني ... على وضرٍ من ذا الإناءِ قليل

ثم قال عليه السلام ١ / ٣٣٢ - ٣٣٣: {نُبِّئتُ أنَّ بُسراً خلَّع اليمن، وأنِّي والله لأظنُّ أنَّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرُّقكم عن حقِّكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وإطاعتهم إمامهم بالباطل وبإدائكم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم، بصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعبٍ لخشيت أن يذهب بعلافته، أللهم أنني قد مللتهم وملُّوني، وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً منِّي! اللهم مِتْ قلوبهم كما يُمات الملح في الماء، أما والله لوددتُ أنَّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غَنْم:

هنالك لو دعوت أتاك منهم ... فوارس مثلَ أرمية الحميمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

ومن خطبةٍ للحجَّاج عنَّف فيها أهل العراق شرَّ تعنيف ثم تمثَّل بقول ابن بُراقة١ / ٣٤٣:

وكنتُ إذا قومٌ غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا يال همدان ظالمُ؟

متى تجمع القلب الذكيَّ وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبكَ المظالم

وفي خطبةٍ للحجَّاج أيضا يمتدح بها أهل الشام تمثَّل ببيتي أخي ذبيان وهما١ / ٣٤٦

إذا حاولتَ في أسدٍ فخوراً ... فإنِّي لستُ منكَ ولستَ منِّي

همُ درعي الذي استلأمتُ فيها ... إلى يوم النشار وهم مجنِّي

وخطب الحجَّاج أيضاً بعد موت أخيه وابنه؛ ومما قال١ / ٣٤٧:

يا أهل العراق؛ أتيتكم وأنا ذو لَمَّةٍ وافرة أرفل فيها؛ فما زال بي شقاقكم وعصيانكم حتى حصَّ شعري، كشف عن رأسه وهو صلعٌ وقال:

من يكُ ذا لِمَّة سيكشفها ... فإنني غير ضائري زعري

لا يمنع المرء - أن يسود وأن ... يُضربَ بالسيف قلَّة - الشعر

كان سَلَم بن عقبة ليزيد وما عمل بالمدينة في وقعة الحرِّة، كما أن بُسر لمعاوية وما عمل في الحجاز واليمن، وقال ابن أبي الحديد: [ومن أشبه أباه فما ظلم]وتمثَّل ٢ / ١٨:

يُضربُ بالسيف قلَّة الشعر ... لسنا على الأحساب نتَّكلُ

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثلما فعلوا

رُوي أنَّ شريك بن عبد الله النُخعي حجَّ مع عمر، ولما نزلا وعظم الناس خرج شريك من رحله يُريده فلقيه المغيرة بن شعبة فرافقه ثم قال:

- أين تُريد؟

فقال:

- أمير المؤمنين.

فانطلقا يُريدان رحل عمر. لما أذن لهما دخلا فوجداه مستلقياً على برذعةٍ برحل، وبعد أن تحادثوا عن حسد قريش وكيف أنهم ما كانوا يُريدون أن يستخلف أبو بكرٍ عمراً، تمثَّل عمر بقول كعب بن زهير:

لا تفشِ سِرَّكَ إلاَّ عند ذي ثقةٍ أولى وأفضل ما استودعتَ أسرارا

صدراً وسيعاً وقلباً واسعاً قمنا أن لا تخافا متى أودعت إظهارا

إذ سألاه عن حسد قريش فأجابهما - بعد أن حدَّثهما طويلاً - وطلب منهما كتمان ما يقول:

- كلاَّ والله بل كان أبو بكرٍ أعق وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلِّها.

لما حُصر عثمان الحصر الأخير جاء مروان بن الحكم فاستصحب زيد بن ثابت - وكان زيد يميل لعثمان - إلى عائشة ليكلِّمها في هذا الأمر وكانت عازمة على الحج فأقبلت على زيدٍ فقالت:

- وما منعك يبن ثابت ولك الأشاريف قد اقتطعكها عثمان، ولك كذا وكذا.

فلم يرجع زيدٌ عليها حرفاً واحداً، وأشارت إلى مروان بالانصراف فانصرف وهو يقول٣ / ٨:

[و] حرق قيسٍ عليَّ البلاد حتى إذا اضطرمت أجذما

لما حضر الموت عبد الله بن مسعود أوصى عمِّار بن ياسر (رحمه الله) أن لا يُصلِّ عليه عثمان فعملها عمَّار، ولما دُفن جاء عثمان منكراً ذلك فقيل له إن عماراً ولِّيَ الأمر فقال لعمار:

- ما حملك على أن لا تؤذِّني؟

فقال:

- عُهِدَ إليَّ أن لا أُؤذنك. فوقف على قبره وأثنى عليه وانصرف وهو يقول: (رفعتم والله أيديكم من خير من بقي).

فتمثَّل الزبير بقول عبد الله بن الأبرحي٣ / ٤٢:

لا ألفينَّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتيَ ما زوَّدتني زادي

عنَّف محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام زيداً لما خرج، وحذَّره القتل، وقال له:

- إن أهل العراق خذلوا أباك عليَّاَ وحسناً وحسيناً عليه السلام وإنَّك مقتولٌ، وإنهم خاذلوك.

فلم يُثنِ عزمه، وتمثَّل قائلاً:

بكرت تُخوِّفني الحتوف كأنَّني ... أصبحتُ عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها أن المنية منهلٌ ... لابدَّ أن أُسقى بذاك المنهلِ

إن المنية لو تُمثَّل مَثِّلت ... مثلي، إذا نزلوا بضيق المنزلِ

فاقنيْ حياءكِ لا أبا لكِ واعلمي ... أنِّي امرؤٌ سأموت إن لم أُقتلِ

خرج عبد الملك لمقاتلة مصعب بن الزبير فجاءته امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فالتزمته وبكت لفراقه، وبكى جزارِ حولها، فقال عبد الملك:

- قاتل الله ابن أبي جمعة كأنه شاهد هذه الصورة حيث قال٣ / ٢٩٦:

إذا هــمَّ بالأعــداء لم يُــثنِ عزمــه حصــانٌ عليهــا محض نظمٍ يزينهــا
نهتــه فلــما لم تــرَ النهــي عاقــه بكـت وبكـى ممـا عراهـا قطينهـا

كان مصعب لما خرج إلى عبد الملك سأل عن الحسين بن علي عليه السلام وكيف كان قتله؟ فجعل عروة بن المغيرة يُحدِّث عن ذلك، فقال متمثِّلاً بقول سليمان بن فتَّة٣ / ٢٩٨:

وأنَّ الأُلى بالطف من آل هاشمٍ تأسَّوا فسنُّوا للكرام التأسِّيا

لما كان يوم السبخة، وعسكر الحجَّاج بإزاء شبيب، قال له الثاني:

- أيها الأمير، لو تنحَّيت عن هذه السبخة فإنها نتنة الريح.

قال:

- ما تنحُّونني - والله - إليه أنتن، وهل ترك مصعب لكريمٍ معزا؟

ثم أنشد قول الكلحية٣ / ٢٩٨:

إذا المـرء لم يخـشَ الكريهـةَ أوشـكت حبــالُ الهُوينــا بــالفتى أن تُقطَّعــا

لما وُضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك أنشد٣ / ١٩٧:

لقـد أردى الفـوارس يـوم حـيٍ غــلامٌ غــير منَّــاع المتــاعِ
ولا وقَّافــةً والخيــل تُــروى ولا خــالٍ كــأنبوب اليــراعِ

لما خرج إبراهيم بن عبد الله، ومرَّ بمربد سليمان بن علي وقف عليهم وأمَّنهم واستسقى ماءً، فأُتيَ به فشرب فأجريَ إليه صبيان من صبيانهم فضمهم إليه، وقال:

- هؤلاء - والله - منَّا ونحن منهم! لحمنا ودمنا ولكنَّ آباءهم انتزوا على أمرنا وابتزُّوا حقوقنا، وسفكوا دماءنا، ثم تمثَّل ٣ / ٣٠٩:

مهلاً بني عمِّنا ظلامتنا ... أنَّ بنا سُورةً من الفلقِ
لمثلكم تُحمل السيوف ولا ... تُغمز أحسابنا من الرققِ
إني لأُنمى - إذا انتحيت - إلى ... عِزٍّ عزيزٍ ومعشرٍ صَدِق
بيضٍ سباطٍ كأنَّ أعينهم ... تُكحلُ - يوم الهياج - بالعلقِ

ولما أتاه نعي أخيه محمَّد انفجر باكياً مناجياً الله تعالى ثم تمثَّل (٣ / ٣٠٩):

أبا المنازل يا خير الفوارس من ... يُفجعْ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا
الله يعلم أنِّي لو خشيتُهمُ ... أو آنسَ القلب من خوفٍ لهم فزعا
لم يقتلوك ولم أُسلم أخي لهمُ ... حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

فجعل المفضَّل يُعزِّيه ويعاتبه على ما ظهر من جزعه فقال:

- إنِّي - والله - في هذا كما قال دُريد بن الصمَّة ٣ / ٣١٠:

يقول ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكان البُكا، لكن بنيت على الصبرِ
لمقتل عبد الله والهالك الذي ... على الشرف الأعلى قتيل أبي بكرِ
وعبد يغوثٍ تحجل الطير حوله ... وجلَّ مصاباً حثوُ قبرٍ على قبرِ
فأما ترينا لا نزال وماؤنا ... لدى واترٍ يسعى بها آخر الدهر
فإنَّ لحكم السيف غير نكيرةٍ ... ونلحمه طوراً وليس بذي نُكْرِ
يُغار علينا واترين فيشتفى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وترِ
بذاك فسحنا الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلاَّ ونحن على شطرِ

ثم ظهرت جيوش أبي جعفر مثل الجراد، فتمثَّل إبراهيم قوله٣ / ٢١٠:

إن يقتلوني لا تصيب رماحهم ... ثأري ويسعى القوم سعياً جاهدا

نُبِّئتُ أن بني جُذيمةَ أجمعت ... أمراً تدبِّرهُ لتقتل خالدا

أرمي الطريق وإن رُصدتُ بضيقه ... وأُنازل البطل الكميَّ الحاردا

وأقبلت عساكر أبي جعفر فطعن رجلاً وطعنه آخر، فقال له المفضَّل:

- أتباشر القتالَ بنفسك؟ وإنما العسكر منوط بك.

قال: إليك يا أخا بني ضبَّة، فإنِّي لكما كما قال عويف القوافي ٣ / ٣١٠:

ألَّمت سعادٌ وإلمامُها ... أحاديث نفسٍ وأحلامُها

محجَّبةٌ من بني مالكٍ ... تطاول في المجد أعلامها

وإنَّ لنا أصل جرثومةٍ ... تردُّ الحوادث أيَّامُها

تردُّ الكتيبة مغلولةً ... بها أفنها وبها ذامها

والتحمت الحرب واشتدَّتْ، فقال: يا مفضَّل احكني بشيء؛

فذكر أبياتاً لعويف القوافي لما كان ذكره هو من شعر فأنشد٣ / ٢١١:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما ... أجدتَ لسيرٍ، إنما أنتَ ظالمُ

أبى كلِّ حرٍّ أن يبيت بوتره ... وتمنع منه النوم إذ أنت نائم

أقول لفتيانٍ كرامٍ تروّحوا ... على الجُرد في أفواههنَّ الشكائمُ

قفوا وقفةً من يحيى لا يُخزَ بعدها ... ومن يخترم لا تتبعه اللوائمُ

وهل أنت إن باعدت نفسك عنهمً ... لتسلم فيما بعد ذلك سالمُ

ولقوله عليه السلام مجيباً أحد أصحابه عن كيفية دفعهم عن هذا المقام وهم أحقٌّ به:

... أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً والأشدَّون بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم نَوطاً، فإنها كانت أثرة سمت عليها نفوس قومٍ وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله، والمَعوَدُ إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهباً صيحَ في حجراتهِ ولكنّ حديثا ما حديث الرواحلِ

وهلمَّ الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد بكائه؛ ولا غروَ والله، فيا له غرواً يستكثر العجب ويُكثر الأوَد.

لذلك القول المبين استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول٩ / ٢٤١ - ٢٤٤:

[تنقَّل امرؤ القيس بعد مقتل أبيه، في أحياء العرب. ومَن نزل عندهم خالد بن سدوس، فأغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد ابن سدوس فذهبوا بإبله، وكان الذي أغار عليه باعث بن حويص، فأخذ خالد بن سدوس رواحل امرئ القيس وركب في إثر القوم حتى أدركهم وبدل أن يأخذ الإبل أخذوا الرواحل منه وذهبوا بها وبالإبل، فقال امرؤ القيس ٩ / ٢٤٤ - ٢٤٥:

[و] دع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحلِ

كأنَّ دثاراً حلَّقت بلبونةٍ عقاب التنوفي لا عقاب القواعلِ

تلعَّب باعثٌ بذمَّةِ خالدٍ وأودى دثاري في الخطوب الأوائل

وأعجبني مشيُ الحُزُقَّة خالدٍ ... كمشي أتانٍ حُلِّئت بالمناهلِ

أبت أجأ أن تسلم العام جارها ... فمن شاء فلينهض لها من مقاتلِ

تبيت لبونٌ بالقُرَيَّةِ آمناً ... وأسرجها غبَّا بأكناف حائلِ

بنو ثعلٍ جيرانها وحماتها ... وتمنع في رُمَّاة سعدٍ ووائلِ

تلاعب أولاد الوعول رباعها ... دُوَينَ السماء في رؤوس المجادلِ

مكلَّلةٌ حمراء ذات أسرَّةٍ ... لها حبكٌ كأنَّها من وصائل

ولقوله عليه السلام من كتابٍ له إلى معاوية جواباً:

... أن قوماً استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار، ولكلٍّ فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء، وخصَّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أوَ لا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلٍّ فضل حتى فُعل بواحدنا ما فُعِل بواحدهم، قيل: الطيَّار في الجنَّة وذو الجناحين.

ولولا ما نهى الله عنه في تزكية المرء نفسه لذكر ذاكرٌ فضائل جمَّة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمحها آذان السامعين]١٥ / ١٨١ - ١٨٢.

لذلك القول الكريم أورد ابن أبي الحديد مفاضلة بين بني أميَّة وبني هاشم وعدَّد خصائص كل منهما ورجَّح خصائص بني هاشم على بني أُميَّة ذاكراً ما فعله بنو أُميَّة ببني هاشم كقتل عبد الله بن زياد يوم الطف تسعة من صلب علي[عليه السلام]. وسبعة من صلب عقيل، وتمثَّل بقول الناعي١٥ / ٢٣٦:

عـينُ جـودي بعـبرةٍ وعـويلِ واندبي – إن ندبتِ – آل الرسولِ
تسعـةً كلـهم لصلـب علـيٍّ قـد أُصيبـوا وسـبعةً مـن عقيـلِ

وأورد زعم بني أُميَّة أنَّ عقيلاً أعان معاوية على عليٍّ عليه السلام فإن كانوا كاذبين نجا أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين جازوا عقـيلاً بمـا صـنع أو ضـرب عنق مسلم بن عقيل صبراً وغدراً بعد الأمان، وقتلوا معه هاني بن عروة لأنه آواه ونصره، وتمثَّل بقول الشاعر ١٥ / ٢٣٦ - ٢٣٧:

فـإن كنـتِ لا تـدرين مـا المـوت فـانظري إلى هـانئٍ في السـوق وابـن عقيـل
تـريِّ بطـلاً قـد هشَّـم السـيف رمحـه وآخـر يهـوي مـن طمـار قتيـل

ثم عدَّد كذلك ما فعله بنو أُميَّة ببني هاشم فمن قُتِل بالسيف أو بالسم، ومما فعلوا: نبشوا زيداً وصلبوه وألقوا رأسه توطؤ بالأقدام، وينقر دماغه الدجاج حتى قال القائل١٥٢٣٨:

اطـردوا الـديك عـن ذؤابـة زيـدٍ طالمـا كـان لا تطـاه الدجـاجُ

وتمثَّل بقول شاعرهم١٥ / ٢٣٨:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم نـرَ مهديَّاً مع الجذع يُصلبُ
وقسـتم بعثمـانٍ عليَّـاً سفاهـةً وعثمـان خـيرٌ مـن علـيٍّ وأطيـبُ

ثم عدَّد مثالب أُخرى لبني أُميَّة وتمثَّل بقول شاعرهم١٥ / ٢٣٨:

أفـاض المـدامع قتلـى كُـدىً وقتلـى بكشـوةَ لم تُـرمسِ
وبالـزابيين نفـوس ثـوت وأُخـرى بنهـر أبـي فطـرسِ

وتمثَّل بقول بني هاشم١٥ / ٢٣٨ - ٢٣٩:

واذكروا مصرع الحسين وزيداً وقتيلاً بجانب المتراس

والقتيل الذي بنجران أمسى ثاوياً بين غربةٍ وتناسِ

وتمثَّل بقول الراجز يذكر دولة بني هاشم١٥ / ٢٤٠:

قد رفع الله رماح الجنِّ وأذهب التعذيب والتجنِّي

ولقوله عليه السلام من وصيَّة للحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفِّين:

من الوالد الفاني المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الظاعن عنها غداً، المولود المؤمِّل، ما لا يُدرك، السالك سليل من قد هلك؛ غرض الأسقام، ورهينة الأيام، وأسير الموت، وحليف الهموم وقرين الأحزان، ونصب الآفات، وصريع الشهوات وخليفة الأموات ١٦ / ٩.

لتلك الوصية استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[عندما أراد الحسن عليه السلام مغادرة العراق إلى المدينة، ولما صار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال١٦ / ١٦:

ولا من قلىً فارقت دار معاشري هم المانعونَ حوزتي وذماري

خطب الحسن عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأخبر القوم بوفاة أبيه ثم قدَّم نفسه لهم وعرَّفهم بنفسه، ولما انتهى من خطبته قام عبد الله بن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا وقالوا: ما أحبَّه إلينا وأحقَّه

بالخلافة! فبايعوه ثم نزل من المنبر.

ودسَّ معاوية رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار فدُلَّ على الحميري وعلى القين فأُخِذا فقُتِلا. وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية:

أما بعد: فإنَّك دسست إليَّ الرجال، كأنَّك تحبُّ اللقاء؛ لا شكَّ في ذلك فتوقَّعه إنشاء الله، وبلغني أنك شمتَّ بما لم يشمت به ذو الحجى؛ وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول ١٦ / ٣١]:

فإنَّا ومن قد مات منَّا لكالذي ... يروح فيمسي في المبيت ليفتدي

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهَّز لأُخرى مثلها لكأنْ قد»

فأجابه معاوية:

[أما بعد: فقد وصل كتابك، وفهمنا ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس، وإن علياً أباك، كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة١٦ / ٣١]:

فأنت الجواد وأنت الذي ... إذا ما القلوب ملأنَ الصدورا

جديرٌ بطعنة يوم اللقاء ... يُضرب منها النساء النحورا

وما مزيدٌ من خليج البحار ... يعلو الأكام ويعلو الجسورا

بأجود منه بما عندهُ ... فيعطي الألوف ويعطي البدورا

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى معاوية:

[أما بعد: فإنك دسست أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيَّتك لكما قال أُميَّة بن أبي الأسكر ١٦ / ٣٢]:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً كنعجة عادٍ حتفها تتحفَّرُ
أشارت عليها شفرةٌ بكرامها فظلَّت بها من آخر الليل تنحرُ
شمتَ بقومٍ من صديقك أهلكوا أصابهمُ يومٌ من الدهر أصفرُ]

فأجابه معاوية:

[أما بعد: فإن الحسن بن علي قد كتب إليَّ بنحو ما كتبت، وأنبأني بما لم يُحقِّق سوء ظن ورأيٍ فيَّ، وأنك لم تصب مثلي ومثلكم وإنما مثلنا كما قال طارق الخزاعي يجيب أُميَّة عن هذا الشعر ١٦ / ٣٢:

فوالله ما أدري وإني لصادقٌ إلى أيٍّ من يظنُنَّني أتعذَّرُ
أُعنَّف إن كانت زبيبة أهلكت ونال بني لحيان شرَّاً فأنفروا]

وكتب معاوية كتاباً إلى الحسن عليه السلام يستميله ويُهدِّده في آنٍ واحد وختم الكتاب بقول الأعشى بن قيس بن علبة١٦ / ٣٧:

وإن أحدٌ أسدى إليك أمانةً فأوفِ بها تُدعى إذا متَّ وافيا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفهِ إن كان في المال فانيا

ولقوله عليه السلام:

.. وإيَّاك ومشاورة النساء فإنَّ رأيهنَّ أفن، وعزمهنَّ إلى وهن».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكرٍ على منعها فدك لاثت خمارها وقصدت أبا بكر في جمعٍ من الأنصار والمهاجرين وألقت هناك خطبةً طويلة أبكت الحاضرين ثم تمثَّلت بقول هند بنت أثاثة١٦ / ٢١٢:

قد كان بعدك أنباءٌ وهيمنةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

أبدت رجالٌ لنا نجوى صدورهمُ ... لما قضيت وحالت دونك الكتبُ

تجهَّمتنا رجالٌ واستخفَّ بنا ... إذ نُحتَ عنَّا فنحن اليوم نُغتَصبُ

ولقوله عليه السلام: من وصية له للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

«.. والله أللهَ في جيرانكم، فإنه وصية نبيِّكم، ما زال يُوصي بهم حتى ظننَّا أنَّه سيورِّثهم»١٧ / ١٥.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[سئل سليمان بن علي بن خالد بن صفوان عن ابنيه (محمد وسليمان) وكانا جاريه، فقال:

- كيف أجارك جوارهما؟

فتمثَّل بقول يزيد بن مفرِّغ الحميري]:

سقى اللّه داراً لي وأرضاً ... إلى جنب داري معقل بن يسارِ

تركتها ... فيا لك جاري ذلَّة وصغار

ولقوله عليه السلام: «(والصقْ بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يُبجِّعوك بباطلٍ لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهو وتُدني من العزَّة».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول ١٧ / ٤٤ - ٤٥:

[قال خالد بن عبد الله القسري إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته:

- من كانت الخلافة زائنته فقد زيَّنتها، وإن كانت شرَّفته فإنك لكما قال القائل]:

وإذا الـدُرُّ زان حسـنَ وجـوهٍ كـان للـدُرِّ حسـن وجهـك زينـا

فقال عمر بن عبد العزيز:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصـبٍ بـين أغـوارٍ وجلـمودِ

- لقد أُعطيَ صاحبكم هذا مِقْوَلاً وحُرِمَ معقولاً، وآمره أن يجلس.

في أحد أيام فتح مكَّة مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قُبَّة ساعةً من النهار، ثم دعا براحلته - بعد أن اغتسل وصلَّى - فأُدْنيَت إلى باب القُبَّة فخرج وعليه السلاح والمغفر على رأسه، وقد صفَّ له الناس، فركبها والخيل تُسرع ما بين الخندق إلى الحجون... وإذا بنات أبي أُحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء وإزاء منزل أبي أُحيحة، وقد نُشرت شعورهن، فلطمن وجوه الخيل بالخُمر، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر فتبسَّم وأنشد قول حسَّان١٧ / ٢٧٨:

تظـل جيادنـا متعطِّـراتٍ تُلطَّمهـنَّ بالخُمـر النـساءُ

كان قيس بن صبابة يوم فتح مكة عند أخواله بني سهم، فاصطبح الخمر في ذلك اليوم في ندامى له، وخرج ثملاً يتغنَّى ويتمثَّل بأبيات منها١٨ / ١١٥:

دعيني أصطبح يا بكر أنَّي رأيت الموت نقَّب عن هشامِ
ونقَّب عن أبيكِ أبي يزيدٍ أخي القينات والشرب الكرامِ
يُخبِّرنا ابن كبشةَ أنْ سنحيا وكيف حياة أصداء وهام
إذا ما الرأس زال بمنكبيهِ فقد شبع الأنيس من الطعامِ
أتقتلني إذا ما كنت حيَّاً؟ وتحييني إذا رمَّت عظامي؟

ولقوله عليه السلام:

«العلو وراثةٌ كريمةٌ والآداب حللٌ مجدِّدة، والفكر مرآةٌ صافية».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول١٨ / ٩٣و١٩٦:

[سأل الواثق عن خبر (إنَّ) في البيت:

أظلـومُ إنَّ مصابـكم رجـلاً - أهدى السلام تحيـةً - ظلمُ

فقيل له؛ (رجلاً) فسأل عمن بقي من النحويين؟ فقيل له: أبو عثمان المازني، ولما شخص بين يديه صار يسألهُ عن عشيرته فيجيبه حتى سأله عن خبر (إنَّ) في البيت، فقال:

- (ظلم)، لأنَّ البيت إن لم يجعل (ظلم) خبر إنَّ يكون مقطوع الفائدة.

[ويضيف علي الفتَّال: لأنَّ (أهدى السلام تحيَّةً) هو (تشكيل اعتراضي)

فبرفعه من جملة البيت تكون الجملة الباقية (أظلوم أن مصابكم رجلاً ظلمُ) فتكون الجملة تامة بـ (ظلم)].

فقال الواثق: قبَّح الله من لا أدب له. ثم قال:

- ألك ولد؟

فأجابه:

- بنيَّة.

قال:

فما قالت لك حين ودَّعتها؟

قال:

- قالت ما قالت أبيات الأعشى:

تقول ابنتي حين جدَّ الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتمّ

أبانا فلا رمت من عندنا ... فإنَّا بخير إذا لم ترُمّ

أبانا إذا أصخرتك البلاد ... نجضُّ ونقطع منَّا الرحمّ

فسأله الواثق:

فما قلت لها؟

قال:

- أنشدها بيت جرير:

ثقي بالله ليس لهُ شريكٌ ... ومن عند الخليفة بالنجاحِ

فقال الواثق:

- بالنجاح إنشاء الله.

ثم أمر له بألف دينار وكسوة، ومشى إلى البصرة.

ولقوله عليه السلام: «أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلاَّ ويدهُ بيد الله يرفعه».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول١٨ / ١٢٨ - ١٢٩:

سُئل النظَّام عن المروءة فأنشده بيت زهير:

الستـــرُ دون الفاحشـــات ولا يلقـاك دون الخـير مـن ستـرِ

ولقوله عليه السلام: «إذا حييت بتحيَّةٍ فحيي بأحسن منها، وإذا أُسديت إليك فكافئها بما يُربى عليها، والفضل - مع ذلك - للبادي) ١٨ / ٢٠١.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول١٨ / ٢٠٣:

[جاء رجلٌ إلى معاوية، وهو في مجلس العامة، فقال:

- يا أمير المؤمنين أن لي حرمة.

فقال:

- وما هي؟

قال:

- دنوت من ركابك يوم صفِّين، وقد قربت فرسك الثغر وأهل العراق قد رأوا الفتح والظفر، فقلت لك: والله لو كانت هند بنت عتبة مكانك ما فرَّت ولا

اختارت إلاَّ أن تموت كريمة أو تعيش حميدة، أين تفر وقد قلَّدتك العرب أزمَّة أُمورها وأعطتك قياد أعنَّتها؟ فقلت لي: أخفض صوتك لا أمَّ لك! ثم تماسكت وثبتَّ وثابت إليك حماستك، وتمثَّلت - حينئذ - بشعرٍ أحفظ منه:

أبت لي عفَّتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيحِ

وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطلِ المشيحِ

وقولي كلَّما جأشت وجاشت ... مكانكِ تُحمدي أو تستريحي

ولقوله عليه السلام: «الشفيع جناح الطالب».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول: ١٨ / ٢٠٧:

[قال المبرَّد لعبد الله بن يحيى بن خاقان، أنا شفيعٌ إليك، أصلحك الله في أمر فلان، فقال له:

- قد سمعت وأطعت وسأفعل في أمره كذا، وما كان من نقصٍ فعليَّ، وما كان من زيادةٍ فله.

قال المبرَّد:

- أنت - أطال الله بقاءك - كما قال زهير:

وجارٍ سار معتمداً إلينا ... أجاءته المخافة والرجاء؟

ضمنَّا ماله فغدا سليماً ... علينا نقصهُ وله النماء]

ولقوله عليه السلام: «يهلك فيَّ رجلان، محبٌّ مفرط، وباهتٌ مُفتر».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول٢٠ / ٢٢٠ - ٢٢٣:

[كتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز برفقة رجلين وامرأة أبوها والثاني زوجها، وأن أباها زعم أن زوجها حلف بطلاقها، أن عليَّ ابن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمة وأولادها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات وردن يوماً ... فحارت في تأمُّلها العيونُ

وضاق العزم ذرعا عن نباها ... فأنت لها أبا حفصِ أمين

لأنك قد حويت العلم طرَّاً ... وأُحكمت التجارب والشؤونُ

وخلَّفك الإله على الرعايا ... فحظُّك فيهم الحظُّ الثمينُ

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أميَّة أفخاذ قريش، ولما استوضح عمر وتأكَّد من الرجل أكبَّ ملياً ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه وقال:

إذا ولـيَ الحكومة بين قومٍ ... أصاب الحقَّ والتمس السدادا

وما خير الإمام إذا تعدَّى ... خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم:

- ما تقولون في يمين هذا الرجل؟

فسكتوا، وأوكلوا الأمر إليه، فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل ابن أبي طالب عليه السلام فقال له: ما تقول فيما حلف هذا الرجل يا عقيلي؟

- فقال كما قال الأول:

دُعيتم إلى أمرٍ ولما عجزتمُ تناوله من لا يُداخله عجزُ

فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم نداماً وهل يُغني من القدر الحرز

فاستحسنه عمر وطلب منه أن يقول رأيه، فقال، بعدم طلاقها، مستنداً إلى الرواية التي تقول: إن فاطمة عليها السلام كانت مريضة فاشتهت عنباً، وليس وقت عنب، ولما كان أبوها عندها وعليٌّ عليه السلام، لم يكن في الدار فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله قادرٌ على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم ائتنا به من أفضل أُمَّتي عندك منزلةً فطرق عليٌّ الباب ودخل ومعه يكتل قد ألقى عليه طرف ردائه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

- ما هذا يا علي؟

فقال: عنبٌ التمسته لفاطمة... إلخ.

فأقرَّ عمر بعدم صحة الطلاق، فدعا إلى أصحاب زوجته وقال:

- يا بني عبد مناف ما نجهل ما يعلم غيرنا ولا بنا عمىً في ديننا ولكنَّا كما قال الأول:

تصيَّدت الدنيا رجالاً بفخِّها فلم يدركوا خيراً بل استقبحوا شرَّا

وأعماهمُ حُبُّ الغنى وأحمَّهم فلم يدركوا إلاَّ الخسارة والوزرا]

بعد أن ذكر العباس ما كان منه عليه السلام أن يتقدم ليبايعه المسلمون فرفض أجابه الإمام علي عليه السلام:

- اما أني أعلم أنهم سيولَّون عثماناً وليحدث البدع والأحداث، ولئن بقيَ

لأُذكِّرنَّك، وإن قُتل أو مات ليُتداولُنَّها بنو أُميَّة بينهم، وإن كنت حيَّاً لتجدني حيث تكرهون، ثم تمثَّل١ / ١٩٢:

حلفت بربِّ الراقصات عشيَّةً غدون خفافاً يبتردن المحصَّبا

ليجتلبنْ رهط بن يعمر غدوةً نجيعا بنو الشُدَّاخ وِرداً مصلَّبا

ولقوله عليه السلام في ذم أصحابه:

«إنَّكم - والله - لكثيرٌ في الباحات قليلٌ تحت الرايات»٦ / ١٠٢.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول٦ / ١٠٨:

[إن امرأة الوليد بن عبد الملك تمثَّلت ببيتين من الشعر وهي تصفه -بعد تأنيبه - بكلامٍ مقذع وهما:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ ربداء تنفر من صفير الصافرِ

هلاَّ برزت إلى غزالة في الوغى أم كان قلبك في جناحي طائر]

بعد أخذٍ وردٍّ بين ابن عبَّاس وابن الزبير، قال ابن الزبير:

- أتُعيِّر الزبير بالجبن؟ والله أنك لتعلم منه خلاف ذلك.

قال ابن عباس:

- والله إني لا أعلم إلاَّ أنه فرَّ وما كرَّ، وحارب وما صبر، وبايع فما تمَّم، وقطع الرحم، وأنكر الفضل، ورام ما ليس له بأهل]٩ / ٣٢٧.

وأدرك منها بعض ما كان يرتجي وقصَّر عن جري الكرام ووطَّدا

وما كان إلاَّ كالهجين أمامه عناقاً فجاراه العناق فأجهدا

وأنشد منشدٌ عند عمر قول طرفة١١ / ٨٢:

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى ... وجدِّك لم أحفل متى قام عُوَّدي

ومنهنَّ يبقي العاذلات بشربةٍ ... كميتٍ متى ما تعلُ بالماء تزبدِ

وكرِّي إذا نادى المطاف مُحنِّياً ... كسيد الفضا نبَّهته المتورِّدِ

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الطواف المُعمَّدِ

فقال عمر:

- وأنا لولا ثلاث من عيشة الفتى لم أحفل متى قام عُوَّدي؛ حُبِّي في الله، وبغضي في الله، وجهادي في سبيل الله.

وأكلَ عليه السلام قليلاً من التمر، وشرب عليه ماءً، وأمرَّ يده على بطنه وقال: من أدخله بطنُه النار فأبعده الله، ثم تمثَّل١٩ / ١٨٧:

فإنك مهما تعطِ بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذمِّ أجمعا

ولقوله عليه السلام في ذكر عمر بن العاص٢ / ٢٨٠:

«... أما بعد - وشرِّ القول الكذب - أنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويُسأل فيبخل، ويَسأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الآل».

استشهد ابن أبي الحديد بمفاخرة بين الحسن بن علي عليه السلام ورجالات قريش، وكان منهم عمر بن العاص فأجابهم الحسن عليه السلام واحداً واحداً ذاكراً عيوبهم ومواقفهم من الإسلام في بداية دعوته حتى انتهى إلى عمرو بن العاص، فقال عليه السلام ٦ / ٢٩٢:

ويحك يا ابن العاص، الستَ القائل في بني هاشم لما خرجت من مكَّة إلى النجاشي؟:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل ... وما السير مني بمستنكرِ
فقلتُ ذريني فإني امرؤٌ ... أريد النجاشيَّ في جعفرِ
لأكويَهُ عندهُ كيَّةً ... أُقيم بها نخوة الأصعر
وشانئِ أحمد من بينهم ... وأقوالهم فيه بالمنكرِ
وأجري إلى عتبةٍ جاهداً ... ولو كان كالذهب الأحمرِ
ولا أنثني عن بني هاشمٍ ... وما اسطعتُ بالغيب والمحضر
فإن قبل العتب منِّي له ... وإلاَّ لويتُ لهُ مشفري

ولقوله عليه السلام عند دفن سيِّدة النساء فاطمة عليها السلام، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره ١٥ / ٢٦٥:

«السلام عليك يا رسول الله مني ومن ابنتك النازلة إلى جوارك، والمسرعة للحاق بك، قلَّ - يا رسول الله عن صفيَّتك صبري، ورقَّ عنها تجلُّدي... أما حزني فرمد وأما ليلي فمسهَّد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنتَ بها مُقيم».

وتمثَّل عليه السلام عند قبر فاطمة عليها السلام ١٠ / ٢٨٨:

ذكرتُ أبا أروى فبتُّ كأنني ... بردِّ الهموم الماضيات وكيلُ
لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ ... وكل الذي دون الفراق قليلُ
وإن افتقادي واحداً بعد واحدٍ ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

الضوء الثاني

التراث الشعبي

لكلِّ أُمَّةٍ تراثها الشعبي، وهو متواصلٌ عبر عصورها التاريخية. وأُمَّتنا العربية غنية بهذا التراث، وهو يتواصل حتى يومنا هذا. ولما كنت قد وجدن عيِّنات، لا بأس بها من هذا التراث، ولتواصلها مع ما نراه اليوم، رأيت من المناسب أن أُفرد له فقرة قائمة بذاتها، ولعلاقة ذلك بشعرنا العربي الذي تكثر فيه الإشارات إلى هذا التراث.

صيد الحيوان

قال الإمام علي عليه السلام، من كلامٍ له لما أُشير عليه أن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال١ / ٢٢٣:

«والله لا أكون كالضبع تنام على اللدم؛ حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها».

والعرب تقول في رموزها وأمثالها: (أحمق من ضبع) ويزعمون أن الصائد يدخل عليها وُجارهَا، فيقول لها: (اطرقي أُمَّ طرَيِّق، خامري أُمَّ عامر). ويُكرِّر ذلك عليها مرارا.

معنى (اطرقي أُمَّ طُرَيْق): طأطئي رأسكِ، وكنَّاها بـ (أُمِّ طُرَيْق) لكثرة إطراقها، ومعنى (خامري): إلزمي وُجارَك واستتري فيه، فتلجأُ إلى أقصى مغارها وتتقبَّض فيقول: أُمُّ عامر ليست في وجارها... أُمُّ عامر نائمة. فتمد يديها ورجليها وتستلقي، فيدخل عليها فيُوثقها، وهو يقول:

ابشري أمَّ عامر بكُمِّ الرجال، ابشري أُمَّ عامر بشاءٍ هزلٍ وجرادٍ عظلي.

فتُشدُّ عراقيبها فلا تتحرَّك، وإلى هذا أشار الكميت١ / ٢٢٤:

فعل القرة للمقالة ... خامري يا أُمَّ عامر

وقال الشنفرى:

(و) تعيرون أن قبري محرَّمٌ ... عليكم ولكن خامري أُمُّ عامر

إذا ما مضى رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أرجو حياةً تُسرُّني ... بحبس الليالي ميسلاً بالجرائرِ

الحسد: قال منصور الفقيه / ١ / ٣١٦:

منافسة الفتى فيما يزول ... على نقصان همَّتهِ دليلُ

ومختار القليل أقلُّ منهُ ... وكلُّ فوائد الدنيا قليلُ

وقال أبو تمَّام١ / ٣١٦:

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ ... طويت أتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يُعرف طيب عرف العودِ

لولا محاذرة العواقب لم تزل ... للحاسد النعمى على المحسودِ

وقال آخر١ / ٣١٧:

قل للحسود إذا تنفَّس ضغنهُ يا ظالما وكأنهُ مظلومُ

وقال آخر١ / ٣١٨:

يا طالب العيش في أمنٍ وفي دعةٍ محضاً بلا كدرٍ صفواً بلا رنَقِ

خلِّص فؤادك من غِلٍّ ومن حسدٍ فالغِلُّ في القلب مثلَ الغِلِّ في العُنُقِ

ومن الشعر المنسوب إلى الكميت الأسدي أو بشَّار١ / ٣١٨:

إن يحسدوني فإنِّي غير لائمهم قبلاً من الناس أهلَ الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم مابي وما بهمُ وماتَ أكثرنا غيظاً بما يجدُ

وقال أبو الأسود الدؤلي١ / ٣١٩:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكلُّ أعداءٌ لهُ وخصومُ

لضرائر الحسناء قلن لوجهها - حسداً وبغياً - إنَّهُ لدميمُ

التطيُّر والفأل

ولقولهِ عليه السلام:

«إنَّ العين حق، والرقى حق، والسحر حق والفأل حق، والطيرة ليست بحق، والعدوى ليست بحق والطيب نشرة، والعسل نشرة، والركوب نشرة، والنظر إلى الخضرة نشرة».

لأقوال الإمام عليه السلام تلك استشهد ابن أبي الحديد بشواهد من القصص والشعر كثيرة ندرجها في ما يأتي:

قال الشاعر١٩ / ٣٧٤:

لا يعلم المرءُ لَيلاً ما يُصبِّحهُ ... إلاَّ كوافد ما يجري به الفألُ

والفأل والزجر والكُهَّان كلُّهمُ ... مظلِّلون ودون الغيب أقفالُ

وقال لبيد١٩ / ٣٧٥:

لعمركَ ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما اللّه صانعُ

ونُسبَ إلى المرقش١٩ / ٣٧٥:

لا يقُعِدَنَّكَ عن بقا ... ء الخير تقعاد العزائم

فلقد غدوتُ وكنت لا ... أغدو على راقٍ وحائم

فإذا الأشائمُ كالأيا ... منِ والأيامن كالأشائم

وكذاك لا خيرٌ ولا ... شرٌّ على أحدٍ بدائم

وقال مزرد بن ضرار١٩ / ٣٧٥:

وإني امرؤٌ لا تقشعرُّ ذؤابتي ... من الذئب يعوي والغراب المُحجَّلِ

وقال الكميت١٩ / ٣٧٥:

ولا أنا ممن يزجر الطير همَّهُ ... أصاح غرابٌ أم تعرَّض ثعلبُ

وقال لبيد١٩ / ٣٧٥:

فلئن بعثتً من البُغا ... ةِ فما البُغاة بواجدينا

*تجهَّز النابغة الذُبياني للغزو - واسمه زياد بن عمر - مع زبان بن سيَّار الفزاري، فلما أراد الرحيل سقطت عليه جرادة فتطيَّر وقال:

- ذات لونين تجرد، غريّ من خرج.

فأقام ولم يلتفت زبان إلى طيرته، فذهب ورجع غانما فقال١٩ / ٣٧٨:

تطيَّـــر طـــيرةً يومـــا زيـــادٌ لتُخـــبره ومـــا فيهـــا خـــبيرُ
أقـــام كـــأنَّ لقمـــان بـــن عـــادٍ أشـــار لـــه بحكمتـــهِ مشـــيرُ
تعلَّـــــم أنَّـــــه لا خـــــير إلاَّ علـــى متطيِّـــرٍ وهـــوَ الثبـــورُ
بلـى، شـيءٌ يوافـق بعـض شـيءٍ أحـــايينا وباطـــله كثـــير

وقال كُثير بن عبد الرحمن١٩ / ٣٧٨:

تيمَّمتُ لِهباً أبتغي العلم عندها وقد صار عام الطائفين إلى لِهبِ

*كان للعرب كاهنان؛ اسم أحدهما (شِق)، وكان نصف إنسان، واسم الآخر (سطيح)؛ وكان يُطوى طيَّ الحصير، ويتكلَّمان بكل أُعجوبة في الكهانة، فقال ابن الرومي١٩ / ٣٧٩:

لـــك رأيٌ كأنَّـــه رأيُ شِـــقٍّ وســـطيحٍ قَرِيعَـــي الكُهَّـــانِ
يستشـفُّ الغُيـوب عمَّـا تـوارى بعـــيونٍ جلـــيَّة الإنـــسانِ

كان مسيلمة قد أحكم علم الحُزاة والزجر والحظ فعمد إلى بيضةٍ فصبَّ عليها خلاً حاذقاً قاطعاً، فلانت حتى إذا مسَّها الإنسان استطالت ودقَّت كالعلك، ثم أدخلها قارورة ضيِّقة الرأس وتركها حتى انتظمت واستدارت وجمدت فعادت كهيأتها الأولى، فأخرجها إلى قومٍ وهم أعراب واستغواهم بها، فيها قيل:

(و) ببيضة قارورٍ ورايةِ شادنٍ وتوصيل مقطوعٍ من الطير حاذقِ

أراد (براية شادنٍ): الطيَّارة الورقية.

وقال شاعرٌ في الطيرة ١٩ / ٣٨٠:

وأمنع الياسمين الغضَّ من حذري عليك، إذ قيل لي نصف اسمهِ ياسُ

وقال آخر ١٩ / ٣٨٠:

أهدت إليهِ سفرجلاً فتطيَّرا منهُ وظلَّ مفكِّراً مستعبرا

خوف الفراق لأن شطر هجائهِ سَفَرٌ وحقَّ لهُ بأن يتطيَّرا

وقال آخر١٩ / ٣٨٠:

يا ذا الذي أهدى لنا سوسناً ما كنت في إهدائه محسنا

نصف اسمه سوءٌ فقد ساءني يا ليت أنِّي لم أرَ السوسنا

ومثلهُ١٩ / ٣٨٠:

لا تراني طول دهريَ أهوى الشقائقا

إن يكن يشبه الخدو دَ فنصفه اسم شقا

وكانوا يتفاءلون بالآس لدوامه، ويتطيَّرون من النرجس لسرعة انقضائه ويُسمُّونه (الغدَّار). قال العباس بن الأحنف١٩ / ٣٨٠:

إنَّ الذي سمَّاك يا منيتي بالنرجس الغدَّار ما أنصفا

لو أنهُ سماك بالآسةِ وفيت أن الآس أهل الوفا

خرج كثير يريد عزة ومعه صاحبٌ له من نهد، فرأى غراباً ساقطاً فوق بانة ينتف ريشه، فقال النهدي: إن صدق الطير فقد ماتت عزة.

فوافى أهلها وقد أخرجو اجنازها، فقال١٩ / ٣٨٠:

وما أعيَفَ النهديُّ لا درَّ درُّهُ وأزجرَهُ للطير لا عزَّ ناصرُهْ

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانةٍ يُنتِّف أعلى ريشهِ و يُطايرُهْ

فقال غرابٌ لا غراب، وبانةٌ لبينٍ، وفقدٌ من حبيبٍ تعاشرُهْ

وقول الشاعر١٩ / ٣٨١:

وسمَّيتُهُ يحيى ليحيا ولم يكن إلى ردِّ حكم الله فيهِ سبيلُ

تيمَّمتُ فيهِ الفأل حين رُزِقْتُهُ ولم أدرِ أنَّ الفألَ فيهِ يغيلُ

ومن مذاهب العرب أنهم إذا أجدبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السَّلَع والعُشْرِ، فحزموها وعقدوها في أذناب البقر، وأضرموا فيها النيران، وأصعدوها إلى جبلٍ وعرٍ، واتَّبعوها بدعوى الله ويستسقونه؛ وإنما يضرمون النيران بأذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار، وكانوا يسوقونها نحو المغرب، من دون الجهات.

قال أُميَّة بن أبي الصلت يذكر هذا١٩ / ٣٨٢:

سنةٌ أزمةٌ تُبرِّح بالنا س ترى للعضاة فيها صريرا

لا على كوكبٍ تنوءُ ولا ري حٍ جنوبٍ ولا ترى طحرورا

ويُسَقُّون باقر السهل للطو د مهازيل خشيةً أن تبورا

عاقدين النيران في تلكم الأذ ناب منها لكي تهيج البحورا

سَلَعٌ ما ومثلهُ عُشَرٌ ما عامل ما وعالت البيقورا

وقال أعرابي (يعيب العرب بفعلهم هذا) ١٩ / ٣٨٢:

شفعنا ببيقورٍ إلى هاطل الحيا ... فلم يُغنِ عنَّا ذاك بل زادنا جدبا

فعُدنا إلى ربِّ الحيا فأجارنا ... وصيَّر جدب الأرض من عنده خصبا

وقال آخر ١٩ / ٣٨٢:

قُل لبني نهشلَ أصحاب الحَوَرْ ... أتطلبون الغيث جهلاً بالبقرْ؟

وسَلَعٌ من بعد ذاك أوعُشُرْ ... ليس بذا يُجلِّلُ الأرضَ المطرْ

وقال آخر ١٩ / ٣٨٣:

لا درَّ درُّ رجالٍ خاب سعيهمُ ... يستمطرون لدى الإعسار بالعُشُرِ

أجاعلٌ أنت بيقوراً مسلَّعةً ... ذريعةً لك بين اللّهِ والمطرِ

ومن مذاهبهم أنهم إذا أوردوا البقر فلم تردْهُ ضربوا الثور ليقتحم الماء، فتقتحم البقر بعده، ويقولون: إنَّ الجنَّ تصدُّ البقر عن الماء، وإن الشيطان يركب قرني الثور.

قال السليك بن السلكة ١٩ / ٣٨٤:

إنِّي وقتلي سليكاً حين أعقلهُ ... كالثور يُضرَب لما عافت البقرُ

وقال نهشل بن مري ١٩ / ٣٨٤:

كذاك الثور يُضرَبُ بالهراوى ... إذا ما عافت البقرُ الظماءُ

وقال آخر ١٩ / ٣٨٤:

كالثور يُضرَب للورودِ إذا تمنَّعت البقرْ

وقال آخر١٩ / ٣٨٤:

فـلا تجعلـوني كـالبقير وفحلـها يُكَسّـرُ ضـرباً وهـو للـوِردِ طـائعُ

ومـا ذنـــبه إن لم يـرد بقـــراتهُ وقد فاجأتها عند ذاك الشرائعُ

وقال الأعشى١٩ / ٣٨٥:

لكـالثور والجـنيُّ يضـرب وجهـهُ وما ذنبـه إن عافت المـاء مشـربا

ومـا ذنبـه إن عـافت المـاء باقـرٌ وما أن يعـاف المـاء إلاَّ لـيضربا

ومن مذاهبهم: تعليق الحلي والجلاجل على اللديغ يرون أنه يفيق بذلك. ويقال إنما يُعلَّق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يُسرَّب السم فيه فيهلك، فشغلوه بالحلي والجلاجل وأصواتها عن النوم، وهو قول النظر بن شُمَّيل، وبعضهم يقول: إذا علق عليه حلي الذهب برأ، إن عُلِّق عليه الرصاص أو حلي الرصاص مات.

وقيل لبعض الأعراب:

- أتريدون شُهرة؟

فقال:

- إن الحلي لا تشهر، ولكنها سُنَّة ورثناها. وقال النابغة١٩ / ٣٨٥:

فبـتُّ كـأنِّي سـاورتني ظئيلـةٌ من الرقش في أنيابها السم ناقع

يُسـهِّد مـن ليـل التمـام سليمها لحلـي النسـاء في يديـه قعـاقعُ

وقال أحد بني عُذرة١٩ / ٣٨٥:

كـأنِّي سـليمٌ نالـه كلـم حيَّـةٍ ترى حوله حليَ النساء مرصَّعا

وقال آخر ١٩ / ٣٨٦:

وقد علَّلوا في البطل في كلِّ موضعٍ وغـرُّوا كما غـرَّ السـليمَ الجلاجـلُ

وقال جميل بثينة ١٩ / ٣٨٦:

إذا مـا لـديغٌ أبـرأ الحـليُ داءهُ فحـليكِ أمسـى يـا بثينـة دائيـا

وقال عويمر النبهاني ١٩ / ٣٨٦:

فبـتُّ مُعـنَّى بالهمـوم كـأنَّني سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

وفال آخر ١٩ / ٣٨٦:

كـأني سـليمٌ سـهَّد الحـليُ عينـه فراقب من ليل التمام الكواكبا

ومن مذاهبهم في العرِّ يصيب الإبل يكـووون الصـحيح ليـبرأ السـقيم. قـال النابغة ١٩ / ٣٨٦:

وكلَّـفْتني ذنـب امـرئ وتـركته كذي العرِّ يكوى غيره وهو راتعُ

وقال أحد الأعراب ١٩ / ٣٨٦:

كمـن يكـوي الصـحاح يـروم بـرءً بـه مـن كـلِّ جربـاء الإهـابِ

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يفقؤون عين الفحل إذا بلغت ألفاً، كأنهم يـدفعون العين عنها. قال الشاعر ١٩ / ٣٨٧:

فـقأنا عيـوناً مـن فحـولٍ بهـازرٍ وأنتم برعي البُهم أجدى وأجدرُ

وقال آخر ١٩ / ٣٨٧:

وهـــبتها وكنـــت ذا أقـــنانِ تُفقـــأُ فيهـــا أعـــين البعـــران

وقال آخر١٩ / ٣٨٧:

أعـطيتها ألـفاً ولم تبـخل بهـا ففقـأتُ عـين فُـحيلها معتافـا

ومن مذاهبهم أنهم إذا مات منهم كريم بلوا ناقته وبعيره، فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخَّرها، وتركوها في حفيرة لا تُطعم ولا تُسقى حتى تموت، وربما أُحرقت بعد موتها، وربما سُلِخت ومُلئ جلدها ثُماماً.

وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبلَ عليه حُشِرَ ماشياً، ومن كانت له بلية حُشر راكباً على بلية. قال جُرية بن الهشيم الفقعسي لابنه ١٩ / ٣٨٨:

يـا سـعد أمـا أُهلكـنَّ فـإنني أُوصيك أن أخا الوصايا الأقربُ
لا أعـرفنَّ أبـاك يُحشـر خلفكـم تعبـاً يجـرُّ علـى اليـدين وينكـبُ
واحمـل أبـاك علـى بعـيرٍ صـالحٍ وتقـي الخطيئـة أن ذا هـو أصوبُ
ولعلِّـي لـي ممـا جـمعتُ مـطيَّةً في الحشـر أركبهـا إذا قيـل اركبـوا

وقال جُريب أيضاً١٩ / ٣٨٨:

إذا متُّ فـادفني بجـدَّاء مـا بهـا سـوى الأحرضـينِ أو يفـوَّز راكـبُ
فـإن أنـت لم تعفـر علـيَّ مطـيَّتي فلا قام في حالٍ لك الدهر جالبُ
ولا تـدفنِّي في صـوىً وادفنـنَّتي بديمومـةٍ تنـزو عليـا الجـنادب

ومن مذاهبهم العقر على القبور؛ كقول زياد بن الأعجم في المغيرة بن المهلَّب١٩ / ٣٨٩:

إن السماحة والمروءة ضُمَّتا قبراً بمروَ على الطريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرهِ فاعقرْ بهِ كَوْمَ الهجان وكلَّ طرفٍ سابحِ
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح

وقال الآخر١٩ / ٣٨٩:

نفرت قلوصي عن حجارة حَرَّةٍ بُنِيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري يا ناق منه فإنهُ شِرِّيب خمرٍ مسعرٌ لحروبِ
لولا السفار وبُعدُ خرقِ مَهمَّةٍ لتركتها تحبو على العرقوبِ

ومما ورد عن العرب في البلية قول أحدهم١٩ / ٣٩٠:

أبُنيَّ زوِّدني إذا فارقتني في القبر راحلةً برحلٍ فاترِ
للبعث أركبها إذا قيل اركبوا مستوثقين معاً لحشر الحاشرِ

وقال عُوَيْم النبهاني١٩ / ٣٩٠:

أبُنيَّ لا تنسَ البليَّةَ أنها لأبيك يوم نشوره مركوب

ومن مذاهبهم؛ إذا نفرت الناقة فسمَّيت لها أُمُّها سكنت من النفار. قال الراجز١٩ / ٣٩١:

أقول والوجناء بي تَقَحَّمُ ويلك قل ما اسم امِّها يا علكمُ

وأنشد السكري١٩ / ٣٩١:

فقلت له ما اسم امِّها هات فادعُها تُجبكَ فيسكن روعها ونفارها

ومن مذاهبهم القول بـ(الهامة) ذلك أنهم كانوا يقولون:

ليس من يموت، ولا من يُقتل، إلاَّ يخرج من رأسه هامة، فإن كان قُتِل ولم يُؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره: اسقوني فإني صدِئة. وقيل إن الهامة هي إحدى هوام الأرض، أو انها الصدى. قال أبو داود الأيادي١٩ / ٣٩١:

سلَّط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هامُ

وقال أحدهم لابنه١٩ / ٣٩٢:

ولا تزْقُوَنْ لي هامةً فوق مرقبٍ فإنَّ زقاء الهام للمرء عائب

تنادي الا اسقوني وكلٌّ صدىً به وتلك التي تبيضُّ منها الذوائب

وقال ذو الإصبع١٩ / ٣٩٢:

يا عمرو إلاَّ تدع سقمي ومنقصتي أضرِبْكَ حتى تقول الهامة اسقوني

وقال المجنون١٩ / ٣٩٢:

فيا ربِّ إن أهلك ولم ترو هامتي بليلى أمت لا قبر أعطش من قبري

وقال مفلَّس المفقسي١٩ / ٣٩٢:

وأن أخاكم قد علمت مكانهُ بسفحِ قُبا تسفي عليه الأعاصرُ

له هامةٌ تدعو إذا الليل جنَّها بني عامرٍ هل للهلاليِّ ثائر؟

وقال توبة بن الحُميِّر١٩ / ٣٩٢ - ٣٩٣:

ولو أن ليلى الأخيليةُ سلَّمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلَّمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبرِ صائحُ

وقال قيس بن الملوَّح١٩ / ٣٩٣:

وهـل تلتقـي أصـداؤنا بعـد موتنـا؟ ومـن دوننـا مسٌّ مـن الأرض أنكبُ
لظـلَّ صـدى رمسـي وإن كنـتُ رمَّـةً لصوت صدى ليلى يهشُّ ويُطرِبُ

وقال حميد بن ثور١٩ / ٣٩٣:

ألا هـل صـدى أُم الولـيد مكلِّـم صداي إذا ما كنت رمسا وأعظما

ومن مذاهبهم أن في البطن حيَّة إذا جاع الإنسان عضَّت على شرسوفه وكبده، وقيل هو الجوع بعينه. قال الشاعر١٩ / ٣٩٣:

لا يتـأرَّى لمـا في القـدر يرقبـهُ ولا تـراه أمـام القـدر يقتفـرُ
لا يُغمز الساق من أينٍ ومن وصبٍ ولا يطـنُّ علـى شرسـوفه الصـفّرُ

وقال أحد شعراء بني عبس يذكر قيس بن زهير لما هجر الناس وسكن الفيافي وأنس الوحش، ثم رأى ليلةً ناراً فغشا إليها، فشمَّ عندها قتار اللحم، فنازعته شهوته فغلبها وقهرها، ومال إلى شجرة سلم فلم يزل يكدعها ويأكل من ورقها إلى أن مات١٩ / ٣٩٤:

إن قيسـاً كـان ميتتـهُ كـرمٌ والحـيَّ منطلـقُ
شـام نـارا بـالهوى فهـوى وشـجاع الـبطنِ يختفـق
في أديـسٍ لـيس يـسترهُ رُبَّ حُـرٍّ ثـوبهُ خـلِقُ

*قوله: بالهوى / اسم موضع بعينه.

وقال أبو النجم العجلي١٩ / ٣٩٤:

إنَّـــــك يـــــا خـــــير فتـــــىً تســـــتعدي
علـــــى زمـــــانٍ مُسِّـــــنِتٍ بجهـــــدِ
عـــــضَّاً كـــــعضِّ صَفَـــــرٍ بكبـــــدِ

وقال آخر١٩ / ٣٩٤:

أردُّ شجـاع الـبطن قـد تعلمينـهُ وأُورد غيري من عيالكِ بالطعمِ

ومن مذاهبهم أن الرجل كان أذا أراد دخول قرية فخاف وباءها، أو جنَّها، وقف على بابها، قبل أن يدخلها، فنهق نهيق الحمار، ثم علَّق عليه كعب أرنب، كان ذلك عوذة ورُقية من الوباء والجن، ويُسمُّون هذا التعشير. قال شاعرهم ١٩ / ٣٩٤:

ولا ينفـع التعشـير إن حُـمَّ واقـع ولا زعـزعٌ مُجدٍ ولا كعب أرنـبِ

وقال الهيثم بن عدي: خرج عروة بن الورد إلى خيبر في رُفقة ليمتاروا فلما قربوا منها عشَّروا، وعاف عروة أن يفعل فعلهم وقال١٩ / ٣٩٥:

لعمري لئن عشَّرتُ من خيفة الـردى نهـــاق حمـــيرٍ أنـــني لجـــزوعُ
فـلا واءلـت تلـك النفـوس ولا أتـت قفـولاً إلى الأوطـان وهـي جميـعُ
وقـالوا ألا انهـق لا تضـرَّك خيـبرٌ وذلـك مـن فعـل اليهـود وُلُـوعُ

ولوع، بالضم: الكذب؛ ولع الرجل إذا كذب. وقالوا أن رفقته مرضوا ومات بعضهم، ونجا عروة من الموت والمرض.

وقال آخر١٩ / ٣٩٥:

لا يُنجيَنَّــك مــن حِمــامٍ واقــعٍ كعــــبٌ تعلِّـــقهُ ولا تعـــشيرُ

وشابه هذا أن الرجل منهم كـان إذا دخـل في خـلاة قلـب قميصـه، وصـفق بيديه كأنه يومئ إلى إنسانٍ فيهتدي. قال أعرابي١٩ / ٣٩٥:

قلبت ثيـابي والظنـون تجـول بـي وترمـي برجلـي نحـو كـلِّ سـبيل

فلأيـاً بـلأيٍ مـا عـرفتُ جليَّتي وأبصرت قصداً لم يصب بدليلِ

وقال أبو العملس الطائي١٩ / ٣٩٥:

فلــو أبصــرتَني بِلــوى بطــانٍ أُصــفِّق بالبنــان علــى البنــانِ

فأقلــب تــارةً خوفــاً ردائــي وأصــرخ تــارةً بــأبي فــلانِ

لقلـت أبـا العملَّـس قـد دهـاهُ مـن الجـنَّانِ خالـعة العـنانِ

*الأصل بقلب الثياب التفاؤل بقلب الحال.

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها، فـإذا عـاد نظـر إلى ذلـك الخيط، فـإن وجـده بحالـه، علـم أنَّ زوجته لم تخنه، وإن لم يجده، أو وجده محلولاً، قال:

- خانتني.

وذلك العقد يُسمى الرتَم، ويُقال: بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن شجرة بطرف غصنٍ آخر. قال

الراجز١٩ / ٣٩٦:

هـل ينفعنـك اليـوم إن همـتَ بهـم كثـرة مـا توصـي وتعقـاد الـرتَم؟

وقال آخر١٩ / ٣٩٦:

خـانته لمـا رأت شـيباً بمفرقـه وغـرَّه حلفهـا والعـقد والـرتمُ

وقال آخر١٩ / ٣٩٦:

لا تحـسبنَّ رتـائماً عقَّـدتها تُنبيـك عنهـا بـاليقين الصـادقِ

وقال آخر١٩ / ٣٩٦:

يُعلِّـل عمـروٌ بالرتـائم قلبـه وفي الحيِّ ظبيٌ قد أُحلَّت محارمُهْ

فما نفعت تلك الوصايا ولا جنت عليـه سـوى مـا لا يُحـبُّ رتـائمُهْ

وقال آخر١٩ / ٣٩٦:

مـاذا الـذي تنفعـك الرتـائم إذ أصـبحت وعشـقها المـلازم

وهـيَ علـى لـذَّاتها تُـداوم يزورهـا طـبُّ الفـؤاد عـارم

وقد كانوا يعقدون الرتم للحُمَّى، ويُروى أن من حلها انتقلت الحُمَّى إليه. قال الشاعر١٩ / ٣٩٦:

حللـت رتيمـةً فمـكثت شـهراً أُكابـد كـلَّ مكـروه الـدواءِ

ومن مذاهبهم أن المرأة المقلاة؛ وهي التي لا يعيش لها ولد، إذا وطئت القتيل الشريف عاش ولدها، قال بشر بن خازم١٩ / ٣٩٧:

تـظل مقـاليت النسـاء يطأنـه يقلنَ ألا يُلقى على المرءِ مئـزرُ؟

وقال الكميت١٩ / ٣٩٧:

وتطيـل المـرزآت المقاليـ ـت إليـهِ لتعـود بعـد القيـامِ

وقال آخر ١٩ / ٣٩٧:

تــركنا الشــعثمين بــرمل خبــثٍ تــــزورهما مقالـــيت النـــساءِ

وقال آخر ١٩ / ٣٩٧:

بنفسي التي تمشي المقاليت حوله يُطـاف لـه كشـحا هظيمـاً مُهشَّـما

وقال آخر ١٩ / ٣٩٧:

تبــاشر المقالــت حــين قالــوا تــرى عمــرو بــن مُــرَّة بالحفــير

ومن مذاهبهم؛ أن الغلام منهم إذا سقطت له سنٌّ أخذها بالسبَّابة والإبهام واستقبل الشمس وقذفها بها، وقال:

- يا شمس أبدليني بسنٍّ أحسن منها وليجرِ في ظلِّها أياتُكِ.

أو تقول: (أياؤك) وهما جميعاً شعاع الشمس.

قال طرفة ١٩ / ٣٩٨:

ســقته أيــاة الشــمس إلاَّ لــثاتهُ أســفَّ ولم تكــدم عليــه بأثمِــدِ

وإلى هذا المذهب أشار شاعرهم بقوله ١٩ / ٣٩٨:

شــادنٌ يجلــو إذا مــا ابتســمت عــن أُقــاحٍ كأُقــاح الرمــل غــرّ

بــدَّلته الشــمس مــن منبتــه بَــرَداً أبــيض مصــقول الأشــر

وقال آخر ١٩ / ٣٩٨:

وأشــنب واضــحٌ عــذب الثنايــأ كــأنَّ رضــابهُ صــافي المــدامِ

كسته الشمس لوناً من سناها فــلاح كأنَّــه بــرق الغمــامِ

وقال آخر١٩ / ٣٩٨:

بـذي أشـرٍ عـذب المـذاق تفـرَّدت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

ومن مذاهبهم؛ أنهم كانوا يعتقدون أن دم الرئيس يشفي مـن عضَّـة الكَلْـبِ الكَلِب، قال الشاعر ١٩ / ٣٩٨:

بنـــات مكـــارمٍ وأســـاة جـــرحٍ دمـــاؤهمُ مـــن الكلـــب الشـــفاءُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي١٩ / ٣٩٨:

مـن خـير بيـتٍ علمنـاهُ وأكرمـه كانت دماؤهم تُشفي من الكلَبِ

وقال الكميت١٩ / ٣٩٨:

أحلامكم لسقام الجهل شافيـةٌ كمـا دمـاؤكمُ تشـفي مـن الكلَـبِ

ومن مذاهبهم أنهم إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرَّض الأرواح الخبيثة له نجَّسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى وقالوا: أنفع من ذلك أن تعلـّـق عليه طامث عظام موتى، ثم لا يراها يوم ذاك.

فلـو أن عنـدي جـارتين وراقيـاً وعلَّـق أنجاســاً علـيَّ المعلِّـقُ

قالوا: والتنجيس يشفي إلاَّ من العشق، قال أعرابي ١٩ / ٣٩٩:

يقولـون علِّـق - يـا لـك الخـير - رِمَّـةً وهـل ينفـع التنجيس من كـان عاشـقا

وقالت امرأة وقد نجَّست ولدها فلم ينفعه ومات:

نجَّـــستهُ لـــو ينفـــع التنـــجيسُ والمـــوت لا تفـــوته الـــنفوسُ

وكان أبو مهدية يُعلِّق في عنقه العظام والصوف حذر الموت، وأنشدوا ١٩ /

:٣٩٩

أتـوني بـأنجاسٍ لهـم ومنجِّـسٍ فقلت لهم: مـا قـدَّر الله كـائنُ

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم إذا خدرت رجلهُ ذكر من يُحب أو دعاه فيذهب خدرها. قال الشاعر١٩ / ٣٩٩:

علـى أن رجلـي لا يـزال امـذالُها مقيما بهـا حتـى أُجيلك في فكري

وقال كثير١٩ / ٣٩٩:

إذا خدرت رجلي ذكرتكِ أشتفي بـدعواكِ مـن مـذلٍ بهـا فيهـونُ

وقال جميل١٩ / ٣٩٩:

وأنـتِ لعـيني قُـرَّةٌ حـين نلـتقي وذكركِ يشفيني إذا خدرت رجلي

وقال امرأة١٩ / ٤٠٠:

إذا خدرت رجلي دعوت ابن مصعـبٍ فـإن قلـتُ: عبـد الله أجلـى فتورهـا

وقال آخر١٩ / ٤٠٠:

صبٌّ محبٌّ إذا ما رجله خدرت نادى كبيشة حتى يذهب الخدرُ

وقال المؤمَّل١٩ / ٤٠٠:

واللهِ مـا خـدرت رجلـي ومـا إلاَّ ذكرتُـكِ حتـى يـذهبَ الخـدرُ

وقال الوليد بن يزيد١٩ / ٤٠٠:

أثـيبي هـائما كلـِفاً مُعـنَّى إذا خـدرت لـه رجـلٌ دعـاكِ

ويضيف آل فتَّال: [أن بعض عجائزنا ما يزلن بؤمنَّ بذلك؛ فإذا خدرت

رِجْلُ إحداهن ضربتْ عليها ضربات خفيفة وهي تخاطبها: (گومي نروح للحضرة، أو للعِرِس)].

*ونظير هذا إذا الرجل منهم اختلجت عينه قال: أرى من أُحبه؛ فإن كان غائبا توقَّع قدومه، وإن كان بعيداً توقَّع قربه، قال بِشر ١٩ / ٤٠٠:

إذا اختلجت عيني أقول لعلَّها فتاة بني عمرٍ بها العين تلمعُ

وقال آخر١٩ / ٤٠٠:

إذا اختلجت عيني تيقَّنتُ أنني أراكِ وإن كان المزار بعيدا

وقال آخر١٩ / ٤٠٠:

إذا اختلجت عيني أقول لعلَّها لرُؤيتها تهتاج عيني وتطرفُ

ويضيف الفتَّال: [بعض المعمرين يؤمنون بهذا؛ إذ يرون أن من تختلج عينه اليمنى فهو إشارة إلى سوءٍ قد يلحقه، وإذا اختلجت عينه اليسرى فذلك إشارة إلى ما ينتظره من المسرَّات].

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم إذا عشق ولم يسلُ وأفرط عليه العشق حمله رجلٌ على ظهره كما يُحمل الصبي، وقام آخر فأحمى حديدة، أو ميلاً، وكوى به بين إليته فيذهب عشقه، في ما يرون.

قال أعرابي١٩ / ٤٠١:

كويتم بين رافقتيَّ جهلاً ونار القلب يضرمها الغرامُ

وقال آخر١٩ / ٤٠١:

شـكوت إلى رفيقـيَّ اشـتياقي فجـاءاني وقـد جمعـا دواءا
وجـاءا بالطبيـب ليكويـاني ولا أبغـي - عـدمتهما - اكتواءا
ولـو أتيـا بسـلمى حـين جـاءا لعاضـاني مـن السـقم الشفـاءا

وقال كثير١٩ / ٤٠١:

أغاضـرَ لـو شـهدتِ غـداة بنـتم حُنـوَّ العائـدات علـى وسـادي
أويـتِ لعاشـقٍ لم تـرحميهِ بواقـدةٍ تُلَـذَّع بالـزنادِ

وقال أيضاً١٩ / ٤٠١:

عفـا اللّه عـن أُمِّ الحـويرث ذنبهـا عـلامَ تُعنِّـيني وتكمـي دوائيـا
ولـو آذنـوني قبـل أن يرقمـوا بهـا لقلـت لهـم أُم الحـويرث دائيـا

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا أحبَّ امرأة وأحبَّته فشقَّ برقعها وشقَّت رداءه صلح حبُّهما ودام، فإن لم يفعلا ذلك فسد حبُّهما. قال سحيم عبد بني الحسحاس١٩ / ٤٠٢:

وكـم قـد شـققنا مـن رداءٍ مُحبَّـرٍ ومـن برقـعٍ عـن طفلـةٍ غـير عـابسِ
إذا شُـقَّ بُـردٌ شُـقَّ بـالبُرد بُرقـعٌ دواليـك حتـى كلُّنـا غـير لابـسِ
نروم بهذا الفعل بُقيا على الهوى وإلف الهوى يُغري بهذي الوساوسِ

وقال آخر١٩ / ٤٠٢:

شـققتِ رداءي يـوم برفـة عـالجٍ وأمكنني مـن شقِّ برقعكِ السحقا
فمـا بـال هـذا الـود يفسـد بيننـا ويمحق حبل الوصل ما بيننا محقا

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع تزيد في الشجاعة والقوَّة، قال أحدهم ١٩ / ٤٠٢:

أبا المعارك لا تتعب بأكلك ما تظنُّ أنك تلفي منه كرَّارا
فلو أكلت سباع الأرض قاطبةً ما كنتَ إلاَّ جبان القلبِ خوَّارا

وقال أحدهم، وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعاً، فغدا عليه نمرٌ فجرحه١٩ / ٤٠٢:

أكلتُ من الليث الهصور فؤادهُ لأُصبح أجرا منهُ قلباً وأقدما
فأدرك مني ثأره بابن أُخته فيا لك ثأراً ما أشد وأعظما

وقال آخر١٩ / ٤٠٢ - ٤٠٣:

إذا لمَّ قلب الفتى غدوة الوغى أصمَّ فقلت الليث ليس بنافع
وما نفع قلب الليث في حومة الوغى إذا كان سيف المرءِ ليس بقاطعِ

ومن مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبه فعرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره.

*الهقعة: دائرة تكون بالفرس، وربما كانت على الكتف في الأكثر وهي مستقيمة عندهم، قال أحدهم لصاحبه١٩ / ٤٠٣:

إذا عرق المهقوع بالمرء لفَّطت حليلته وازداد حرٌّ عجانها

فأجابه صاحبه١٩ / ٤٠٣:

[و] قد يركب المهقوع من ليس مثلهُ وقد يركب المهقوع زوج حصان

ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب لدفع شرِّ الجن وما إليهم، قال امرؤ القيس١٩ / ٤٠٤:

أيا هند لا تنكحي بوهةً عليه عقيقته أحسبا
موسَّعةً بين أدباقهِ به عسم يبتغي أرنبا
ليجعل في رجله كعبها حذارِ المنيَّة أن يعطبا

ويضيف الفتَّال: [ما يزال بعضهم يُعلِّق فوق أبواب دورهم رأس غزال، نِعالٍ صغير، أو قطعة خزف زرقاء مفرنصة تسمى (أم سبع عيون) دفعاً لحسد الحاسدين من ذوي العيون (المالحة)].

وكانت العرب تعلِّق على الصبي سن ثعلب وسن هرّة، خوفاً من الخطفة، ويقولون: إن جنيَّة أرادت صبي قوم فلم تقدر عليه، فلامها قومها من الجن في ذلك، فقالت تعتذر إليهم١٩ / ٤٠٤:

كان عليهِ نُفَرَة
ثعالبٌ وهرة
والحيض حيض الشُمَرَة

ويضيف الفتَّال: [إن سكان الريف في العراق لم يزالوا يُعَلِّقون في رقاب أطفالهم معلَّقات عديدة، كالـ (ودْعة) وسِنِّ الذيب والقلائد الملوَّنة وقاية لهم من (الجنِّ) و(العين الحاسدة)].

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي: إن بعض العرب قال لأبي:

- إذا ولِد لك ولد فنفِّر عنه.

فقال له أبي:

- وما التنفير؟

قال:

- غَرِّب اسمه.

فولد له ولد فسمَّاه قنفذاً، وكنَّاه أبا العداء. قال:

وأنشد١٩ / ٤٠٤:

كالخمر مزجُ دوائها منها بها تشفي الصداع وتُبرئ المنجودا

قال: يريد أن القنفذ من مراكب الجن، فداوى ولدهم منهم بمراكبهم.

ومن مذاهبهم: أن الرجل منهم إذا ركبَ مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل فعمد إلى وادي شجر فأناخ راحلته في قرارته، وعقلها وخطَّ عليها خطّاً ثم قال:

- أعوذ بصاحب هذا الوادي.

وربما قال بعظيم هذا الوادي.

عن هذا قال في القرآن الكريم

{ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (الجن٦ - ٧) }.

واستعاذ رجلٌ ومعه ولد فأكله الأسد فقال١٩ / ٤٠٥:

قـد اسـتعذنا بعظـيم الـوادي
وشـرٍّ مـا فيـه مـن الأعـادي
فلـم يجُـرْنا مـن هزبـرٍ عـادِ

وقال آخر ١٩ / ٤٠٥:

أعـوذ مـن شـرِّ الـبلا البعيـدِ
بسـيِّدٍ معظَّـمٍ مجيـدِ
أصـبح يلـوى بلـوى زرودِ
ذي عِـزَّةٍ وكاهـلٍ شـديد

وقال آخر ١٩ / ٤٠٥:

يـا جـن أجـراع اللـوى مـن عـالجِ
عـاذ بكم سـاري الظـلام الـدارجِ
لا تُرهقـوهُ بغـويٍّ هـائجِ

وقال آخر ١٩ / ٤٠٥:

قـد بـتُّ ضـيفاً لعظـيم الـوادي
المـانعي مـن سـطوة الأعـادي
راحلـتي في جـارتي وزادي

وقال آخر ١٩ / ٤٠٥:

هيا صاحب الشجراء هل أنت مانعي فإنِّيَ ضيفٌ نازلٌ بفِنائكا
وإنَّك للجَّانِ في الأرض سيِّدٌ ومثلك آوى في الظلام الصعالكا

ومن مذاهبهم أن المسافر إذا خرج من بلدٍ إلى بلد آخر فلا ينبغي أن يلتفت إلاَّ العاشق الذي يُريد العود. قال أحدهم١٩ / ٤٠٦:

دع التلفُّت يا مسعود وارمِ بها وجهَ الهواجر تأمنْ رجعةَ لبلدِ

وقال آخر١٩ / ٤٠٦:

صبريَ بالثعلبية لما طال ليلي وملَّني قُرَنائي
كلَّما سارت المطايا بنا مِيـ ـلاً تنفَّستُ والتفتُّ ورائي

*يقول ابن أبي الحديد في ذينك البيتين إنهما لا دليل فيهما على ما أراد لأن التلفُّت في أشعارهم كثير ومرادهم الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق، والتأسُّف على المفارقة، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه، بجثمانه فيتبعه بصره، ويتزوَّد من رؤيته، كقول الرضي (رحمه الله) ١٩ / ٤٠٦:

ولقد مررتُ على طلولهمُ ورسومهم بيد البِلى نهبُ
فوقفتُ حتى ضجَّ من لغبٍ نضوي ولَجَّ بعذليَ الركبُ
وتلفَّتت عيني فمذ خفيت عنِّي الطلول تلفَّ القلبُ

وقال الصُمَّة بن عبد الله١٩ / ٤٠٧:

تلفَّت نحو الحيِّ حتى وجدتُني وجعتُ من الإصغاء ليتاً وأخدعا

وقال أحدهم في المذهب الأول١٩ / ٤٠٧:

تلفَّتُّ أرجو رجعةً بعد نيَّتي فكان التفاتي زائداً في بلائيا

أأرجو رجوعاً بعد ما حال بيننا وبينكمُ حزن الفلا والفيافيا

وقال آخر، وقد طلَّق امرأته فتلفَّتت إليه١٩ / ٤٠٧:

تَلَفَّتُ ترجو رجعةً بعد فرقةٍ وهيهات مما ترتجي أُمُّ مازنِ

ألم تعلمي أني جموحٌ عنانهُ إذا كان من أهواه غيرَ ملاينِ

ومن مذاهبهم؛ إذا بُترتْ شفة الصبي حمل منخلاً على رأسه ونادى بين بيوت الحي:

- الحلا.. الحلا، الطعام.. الطعام.

فتُلقي له النساء كسر الخبز وأقطاع التمر واللحم في المنخل، ثم يُلقى ذلك للكلاب، فيبرأ من المرض، فإن أكل صبي من الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب...! أصبح وقد بُترت شفتاه وأنشد لامرأة:

ألا حلا في شفةٍ مشقوقة فقد قضى منخلنا حقوقه

ومن مذاهبهم؛ أن المرأة إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفةً الشعر المنشور، وحجلت على أحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً، وتقول:

- يا لنكاح قبل الفجر.

فيسهل أمرها وتتزوَّج عن قُرب. قال رجل لصديقه وقد رأى أُمَهُ تفعل ذلك١٩ / ٤٠٨:

أمـــا تـــرى أُمَّـــك تبغـــي بعـــلا قـد نشـرت مـن شـعرها الأقـلاَّ
ولم تُـــوفٍّ مُقلتيهـــا كُحـــلا ترفـــع رِجـــلاً وتحـــطُّ رِجـــلا
هـذا وقـد شـاب بنوهـا أصـلا وأصـبح الأصـغرُ مـنهم كهـلا
خـذ القطيـع ثـمَّ سِمـها الـذلاَّ ضـرباً بـه تـترك هـذا الفعـلا

وقال آخر١٩ / ٤٠٨:

قـد كحلـت عينـاً وأعفـت عينـا
وحجلـــت ونشـــرت قرينـــا
تظـنُّ زينـــاً مـــا تـــراهُ شينـــا

وقال آخر١٩ / ٤٠٨:

تصـنَّعي مـا شِـئتِ أن تصـنَّعي
وكحِّلـــي عينيـــكِ أو لا فـــدعي
ثم احجلي في البيت أو في المجمعِ
مـا لـكِ مـن بعـلٍ أرى مـن مطمـع

ومن مذاهبهم؛ كانوا إذا رحـل الضـيف أو غـيره عـنهم وأحبُّـوا أن لا يعـود كسروا شيئاً من الأواني وراءه، قال أحدهم١٩ / ٤٠٩:

كسـرنا القِـدر بعـد أبـي سـواحٍ فعـاد وقـدرنا ذهبـت ضياعـا

وقال آخر١٩ / ٤٠٩:

ولا نكسرُ الكيزان في إثْرِ ضيفنا ولكننـــا نقفيـــه زاداً ليرجعـــا

وقال آخر١٩ / ٤٠٩:

أمـــا واللّهِ أن بـــني نُفَيْـــلٍ لحلاَّلـــون بالشـــرف اليفـــاعِ

أُناسٌ ليس تكسر خلف ضيفٍ أوانـيهم ولا شِعـبَ القصـاعِ

ويضيف الفتَّال: [يرمون حجارات خلف من لا يريدون عودته قائلين: (سبع حجارات سود وراك) ومن يريدون عودته يرشُّون خلفه ماءً].

ومن مذاهبهم؛ قولهم: أن من وُلِدَ في القمراء تقلَّصت غُرْلَتُهُ فكان كالمختون، قال امرؤ القيس لقيصر، وقد دخل معه الحمَّام فرآه أغلف١٩ / ٤٠٩:

إني حلفت يمينا غير كاذبةٍ لأنتَ أغلف إلاَّ ما جنى القمرُ

ومن مذاهبهم؛ التشاؤم بالعطاس، قال امرؤ القيس ١٩ / ٤٠٩:

وقد أغتدي، قبل العطاس، بهيكلٍ شديدٍ منيع الجنب فعم المُنَطَّقِ

وقال آخر١٩ / ٤٠٩:

وخـرِّق إذا وجَّهـتَ فيـه لغـزوةٍ مضيتَ ولم يحبسك عنه العواطسُ

ويضيف الفَتَّال: [لَّما يزل معظم العراقيين يؤمنون أن العطسة الواحدة تعني (الصبر) أي: تأجيل ما كان يُنوى من عمل، وإن عطستين تعنيان التعجيل في ما نُويَ من عمل وتسمى (عَجْلَة)].

ومن مذاهبهم؛ أنهم كانوا يُسمُّون العشا في الليل الهُدَبْدْ.

وأصل الهُدَبْدِ اللبن الخاثر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنامٍ فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وغلاها، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه

الأعلى بسبَّابته١٩ / ٤١٠:

فيـــا ســـناماً وكبِـــدْ
ألا اذهبـــا بالهُدَبِـــدْ
لـــيس شـــفاء الهُدَبَـــدْ
إلاَّ السنـــام والكَبِـــدْ

فيذهب العشا بذلك. [كما يرون].

ومـن مـذاهبهم: أن الـورل والقُنفـذ والأرنـب والظـبي واليربـوع والنعـام والعضرفوط مراكب الجن يمتطونها، ولهم في ذلك أشعارٌ مشهورة، ويزعمـون أنهم يرون الجن ويشاهدون الغول، وربما جامعوهما وقالوا: أن عمرو بـن يربـوع تـزوَّج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهرا فكانت تقول له:

- إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني، فإن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرت إلى بلاد قومي، فكان ابن يربوع كلما برق البرق غطَّى وجهها بردائه، فلا تبصره، وإلى هذا المعنى أشار أبـو العـلاء المعـرِّي في قولـه يذكر الإبل وحنينها إلى لبرق١٩ / ٤١١:

طـربن لضـوء البـارق المتعـالي ببغـداد وهنـاً مـا لهـنَّ ومـالي
سمت نحوه الأبصار حتى كأنها بناريـه مـن هنَّـا وثَـم صـوالي
إذا طـار عنهـا سِـرِّها لرؤوسـها تُمـدُّ إليهـا في صـدور عـوالي
تحنَّـت قويقـاً والصـراة أمامهـا تـرابٌ لهـا مـن أينـق وجمـالِ
إذا لاح أيَّـاً مـن سـترت وجوههـا كـأني عـدوٌّ والمطـيُّ سـعالي

وكم هَمَّ نظوٌّ أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقال

*قالوا فغفل عنها عمر بن يربوع ليلة وقع لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت له وهي تطير:

أمسك بنيك عمر أني آبق برقٌ على أرض السعالي آلقْ

*ومنهم من يقول: ركبت بعيراً وطارت عليه، أي أسرعت فلم يدركها، وعن هذا يقول الشاعر: ١٩ / ٤١٢:

رأى برقا فأوضع فوق بكرٍ فلا يكُ ما أسال ولا أغاما

*وبنو عمر بن يربوع يُدْعَونَ بني السعلاة، لذلك قال الشاعر يهجوهم:

يا قبَّح الله بني السعلاةِ

عمر بن يربوعٍ شرار النات

ليسوا بأبطالٍ ولا أكياتِ

[أبدل السين تاءً في (النات) و(أكيات) وهي لغة قوم من العرب]

ومن مذاهبهم؛ قولهم في الدعاء: لا عشت إلاَّ عيش القراد. يضربونه مثلاً في الشدَّة والصبر على المشقَّة، ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه، وبظهره عاماً، ويقولون: إنه يُترَك في طينة ويُرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه وسنة على ظهره ولا يموت. قال أحدهم ١٩ / ٤١٠:

فلا عشتَ إلاَّ كعيش القرادِ عاماً ببطنٍ وعاماً بظهرِ

ومن مذاهبهم؛ كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن تراباً من

موضع رِجله، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه. وقالت امرأة من العرب، واقتبضت من أثرهِ ١٩ / ٤١٠:

أخذت تراباً من مواطئ رجله غداة عدا كيما يؤوب مُسلِّما

ومن مذاهبهم؛ في الغول قولهم: إذا ضُرِبت ضربةً واحدةً بالسيف هلكت، فإذا ضُرِبت ثانيةً عاشت. وإلى هذا أشار الشاعر١٩ / ٤١٢:

فقالت: ثنِّ قلت لها: رويداً مكانكِ أنَّني ثبت الجنانِ

ومن مذاهبهم؛ اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة وساق حُر - وهو الهديل - والحيَّة؛ فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلُّقات ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن. ومن أشعارهم في مراكب الجن قول أحدهم في قنفذ رآه ليلاً١٩ / ٤١٣:

فما يعجب الجنَّان منكَ عدمتهم وفي الأُسْدِ أفراسٌ لهم ونجائب

أيسرج يربوعٌ ويُلجم قنفذٌ وقد أعوزتكم ما علمت النجائبُ

فإن كانت الجنَّان حنَّت فبالحرى ولا ذنب للأقوام والله غائب

ومن الشعر المنسوب إلى الجن١٩ / ٤١٤:

أيستمع الأسرار راكب قنفذٍ لقد ضاع سرُّ الله يا أمَّ معبدِ

ومن أشعارهم في رواية الجن وخطابهم وهتافهم ما رواه أبو عثمان الجاحظ لسمير بن الحارث الضبِّي١٩ / ٤١٤:

ونـارٍ قـد خطـأتُ بُعَيْـدَ وهـنٍ بـــدارٍ لا أُريـــد بهـــا مقامـــا
ســوى تحليــل راحلــةٍ وعــينٍ أُكالئهـــا مخافـــة أن تنامـــا
أتـوا نـاري فقلـت: منـون أنـتم؟ فقـالوا: الجـنُّ قلتُ: عموا ظلاما

وقال أبو البلاد الطهوي، ويُروى لتأبَّط شرًّا١٩ / ٤١٥:

لهـان علـى جُهينـة مـا أُلاقـي مـن الروعـات يـوم رحـا بطـانِ
لقيـت الغـول تسـري في ظـلامٍ بسـيبٍ كالعبـاءةِ صمصـمانِ
فقلـت لهـا كلانـا نفـض أرضٍ أخـو سـفرٍ فخلِّـي لـي مكـاني
فشـدَّت شـدَّةً نحـوي فـأهوى لهـا كفِّـي بمصـقولٍ يمـاني
فقالـت: زد فقلـت: رويـد أنـي علـى أمثالهـا ثبـت الجنـانِ

والذين يروون هذا الشعر لتأبَّط شرًّا يرون أوَّله١٩ / ٤١٥ - ٤١٦

ألا مـن مبلـغٍ فتيـان جهـمٍ بمـا لاقيـت عنـد رحـا بطـانِ
بـأني قـد لقيـت الغـول تلـوي بحـرثٍ كالصـحيفة صمصـمانِ
فصـدَّت فانتخيـت لهـا بعضـبٍ حسـامٍ غـير محتسـبٍ يمـاني
فقـدَّ سـراتها والـبرك منهـا فخـرَّت لليـدين وللجـرانِ
فقالـت: ثـنٍّ قلـت لهـا: رويـداً مكانـك أنـني ثبـت الجنـانِ
ومـا أنفـكُّ مضـطجعاً لـديها لأنظـر مصـبحا مـاذا دهـاني
إذا عينـان في رأسٍ دقيـقٍ كـرأس الهـرِّ مشـقوق اللسـان
وسـاقا محـذجٍ ولسـان كلـبٍ وثـوبٍ مـن عبـاءٍ أو شنـانِ

وقال البهراني١٩ / ٤١٦:

وتــزوَّجتُ في الشبيبــة غــولاً بغــزالٍ وصــدقتي زِقُّ خمــرِ

وقال أبو عبيدة بن أيوب العنبري أحد لصوص العرب١٩ / ٤١٦:

تقــول وقــد ألممــت بــالأُنس لمَّــةً مخضَّبة الأطراف خرس الخلاخلِ

أهذا خدين الغول والذئب والذي يهــيم بربَّــات الحجــال الهواكــلِ

رأت فلق الدرسين أسود شاحباً مـن القـوم بسَّاماً كـريم الشـمائل

تعــوَّد مــن آبائــه فتكــاتهم وإطعـامهم في كـلِّ غـبراء شـاملِ

إذا صــاد صــيداً لفَّــهُ بضــرامه وشـيكاً ولم ينظـر لغلـي المراجـلِ

ونهساً كنهس الصقر ثم مراسـهُ بكفَّيــهِ رأس الشيخــة المتماثــل

ومن هذه الأبيات:

إذا مــــا أراد الله ذلَّ قبيلــــةٍ رماها بتشتيت الهوى المتخاذل

وأوَّل عجـز القـوم عمَّـا ينـوبهم تقاعـدهم عنـه وطـول التواكـلِ

وأول خبـث المــاء خُبـث ترابــهِ وأوَّل لـؤم القـوم لـؤم الحلائـل

وقال عُبيد بن أيوب أيضاً١٩ / ٤١٧:

وصـار خليـل الغـول بعـد عـداوةٍ صـفياً وربَّتـهُ القفـا والبسابـس

وقال أيضاً١٩ / ٤١٧:

فللــــه درُّ الغــــول أيُّ رفيقــــةٍ لصـاحب قفـرٍ في المهامـه يـذعرُ

أرنَّـت بلحـنٍ بعـد لحـنٍ وأوقـدت حـواليَّ نيرانــاً تلــوح وتزهــرُ

وقال أيضاً ١٩ / ٤١٧ :

وغـــولا قفـــرةٍ ذكـــرٌ وأُنثـــى كـــأن عليهمـــا قطـــع البجـــاد

وقال أيضاً١٩ / ٤١٧ :

وقـد لاقـت الغـيلان مـني بليَّـةً وقد لاقت الغيلان مني الدواهيا

وقال البهراني في قتل الغول١٩ / ٤١٧ :

ضُـرِبتْ ضـربةً فصـارت هبـاءً في محـاق القمـراء أحـرم شهـرِ

وقال أيضاً، لما ثنَّى عليها الضربة عاشت١٩ / ٤١٧ :

فثنَّيـتُ والمقـدار يحـرس أهلـه فليـت يمـيني يـوم ذلـك شُلَّـتِ

وقال تأبَّط شرًا يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها١٩ / ٤١٧ :

فأصـبحتُ والغـول لـي جـارةٌ فيـا جـارةً أنـتِ مـا أغـولا
وطالبتهـــا بضعَهـــا فالتـــوت فكـــان مـــن الـــرأي أن تُقـــتلا
فجلَّتهـــا مرهفـــاً صـــارماً أبـــان المرافـــق والمفصـــلا
فصـــار بقحـــف ابنـــة الجـــنِّ ذا شقاشـــق قـــد أخلـــق المحمـــلا
فمـــن يـــكُ يســـأل عـــن جـــارتي فـــإن لهـــا بـــاللوى منـــزلا
عضـــاءة أرضٍ لهـــا حلَّتـــانِ مـــن ورق الطلـــح لم تُغـــزلا
فكنـــتُ إذا همهمـــت ابتهلـــت وأُخـــرى إذا قلـــت أن أفعـــلا

ومن مذاهبهم؛ أنهم إذا طالت علَّة الواحد منهم، وظنُّوا أنَّ به مسَّاً من

الجن، لأنه قتل جنِّيةُ أو يربوعا أو قنفذاً، عملوا جمالاً من طين، وجعلوا عليها جوالق وملؤوها حنطةُ وشعيراً أو تمرا، وجعلوا تلك الجمال في باب جُحرٍ إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس، وباتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجِمال الطين، فإن رأوا أنها بحالها قالوا:

- لم تقبل الديَّة.

فزادوا فيها. وإن رأوها قد تساقطت وتبدَّد ما عليها من المِيرة قالوا:

- قَبِلتْ الديَّة.

واستدلُّوا على شفاء المريض وضربوا بالدف، قال أحدهم١٩ / ٤١٨:

دعوتُ أبا المغوار في الجفر دعوةً فما آضَ صوتي بالذي كنتُ داعيا

أظنُّ أبا المغوار في قعر مظلمٍ تجرُّ عليه الذاريات السوافيا

وقال آخر١٩ / ٤١٩:

وكم ناديتهُ والليل ساجٍ بعاديَّ البِئار، فما أجابا

وقال آخر١٩ / ٤١٩:

غاب فلم أرجُ له إيابا

والجفر لا يُرجع لي جوابا

وما قرأتُ، مذ نأى، كتابا

حتى متى أستنشد الركابا

عنه وكلٌّ يمنع الخطابا

وقال آخر١٩ / ٤٢٠:

ألم تعلمي أني دعوتُ مجاشعاً ... من الجفر والظلماء بادٍ كسورها

فجاوبني حتى ظننتُ بأنَّهُ ... سيطلع من جوفاء صعبٍ خدورها

لقد سكنت نفسي وأيقنت أنهُ ... سيقدم والدنيا عجاباً أمورها

وقال آخر١٩ / ٤٢٠:

دعوناه من عاديه نُضِّب ماؤها ... وهدَّم جاليها اختلاف عصورِ

فردَّ جوابا ما شككتُ بأنّه ... قريبُ إلينا بالإياب يصيرُ

[أقوى في البيت الثاني.]

ومن مذاهبهم؛ أنَّهم إذا كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء فَيَبُلْنَ بين الصفَّين؛ يروون أن ذلك يُطفئ نار الحرب ويقودهم إلى السلم قال أحدهم١٩ / ٤٢٠:

لقونا بأبوال النساء جهالةً ... ونحن نلاقيهم ببيضٍ قواضبِ

وقال آخر١٩ / ٤٢٠:

بالت نساء بني خُراشة خيفةً ... منَّا وأدبرت الرجال شِلالا

وقال آخر١٩ / ٤٢٠:

بالت نساؤهمُ والبيض قد أخذت ... منهم مآخذَ يُستشفى به الكَلِبُ

وقال آخر١٩ / ٤٢١:

جعلوا السيوف المشرفيَّة منهمً ... يوم النساء وقلَّ ذاك غثاءا

ومن مذاهبهم؛ ذكرُ عزيف الجن في المفاوز والسباسب، كقول أحدهم ١٩ / ٤٢١:

وخـــرقٌ تُحـــدِّث غيطانـــهُ حـديث العـذارى بأسـرارها

وقال آخر١٩ / ٤٢١:

ودويَّـــةٍ سبســـبٍ سحلـــقٍ مـن البيـد تعـزف جنَّانهـا

وقال الأعشى١٩ / ٤٢١:

وبهمـــاء تعـــزف جنَّانُهـــا وناحلـــها آجنـــاتٌ سُـــدُمّ

وقال١٩ / ٤٢١:

وبلدةٍ مثل ظهر الترس موحشةٍ للجنِّ في الليل في حافاتها زجلُ

وقال الشرقي بن قطامي:

كان رجلٌ من كلب - يقال له عُبيد بن الحمارس - شجاعاً وكان نازلاً بالسماوة أيام الربيع، وقلَّ ماؤه وانُقطعت أنواؤه، تحمَّل إلى وادي بُتَل، فرأى روضةً وغديراً فقال: روضةٌ وغدير وحطبٌ يسير، وأنا لما حويتُ مجير.

فنزل هناك، وله امرأتان؛ اسم إحداهما الرباب والأخرى خولة، فقالت له خولة١٩ / ٤٢٢:

أرى بلـدةً قفـراً قليـلٌ أنيسهـا وإنَّا لنخشى، إن دجا الليل، أهلَها

وقالت الرباب١٩ / ٤٢٢:

أرتك برأيٍ فاستمع عنك قولها ولا تـأمنن جنَّ الطريق وجهلها

فقال مجيباً لهما (كذا) ١٩ / ٤٢٢ :

ألستُ كميَّاً في الحروب مجرَّباً ... شجاعاً إذا شبَّت له الحرب محربا؟

سريعاً إلى الهيجا إذا حمس الوغى ... فأُقسم لا أعدو الغدير منكَّبا

ثم صعد إلى جبل بُتَل فرأى مشيمة - وهي أنثى من القنافذ - فرماها فأقصعها، ومعها ولدها، فارتبطه، فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن١٩ / ٤٢٢ :

يا ابن الحمارس قد أسأتَ جوارنا ... وركبتَ صاحبنا بأمرٍ مفضعِ

وعقرت لحقته وقدتَ فصيلها ... قوداً عنيفاً في المنيع الأرفعِ

ونزلت مرعى شائنا وظلمتنا ... والظلم فاعله وخيم المرتعِ

فلنطرقنَّك بالذي أوليتنا ... شرٌّ يجيئك ما له من مدفعِ

فأجابه ابن الحمارس١٩ / ٤٢٢ :

با مُدَّعٍ ظلمي ولستُ بظالمٍ ... اسمع لديك مقالتي وتسمَّعِ

إن كنتمُ جنَّاً ظلمتم قنفذاً ... عُقِرتْ فشرٌّ عقيرةٍ في مصرعِ

لا تطمعوا فيما لديَّ فما لكم ... فيما حويت وحزنه في مطمعِ

فأجابه الجنِّي١٩ / ٤٢٢ - ٤٢٣ :

يا ضارب اللقحة بالعضب الأفلْ

قد جاءك الموت ووافاك الأجلْ

وساقك الحين إلى جِنٍّ تُبَلْ

فاليـــوم أقويـــت وأعيتـــك الحِيَـــلْ

فأجابه ابن الحمارس١٩ / ٤٢٣ :

ياصـــاحب اللقحـــة هـــل أنـــت بجـــلْ؟

مســـتمعٌ مـــني فقـــد قلـــت الخطـــلْ

وكثـــرة المنطـــق في الحـــرب فشـــلْ

هيَّجـــت قمقامـــاً مـــن القـــوم بطـــلْ

ليـــث ليـــوثٍ وإذا هـــمَّ فعـــلْ

لا يرهـــب الجـــنَّ ولا الإنـــسَ أجـــلْ

مـــن كـــان بالعقـــوة مـــن جِـــنٍّ تُبَـــلْ

قال: فسمعهما شيخٌ من الجنِّ، فقال: لا والله لا نرى قتل إنسانٍ مثلَ هـذا ثابت القلب ماضي العزيمة، فقام ذلك الشيخ وحمد الله ثم أنشد١٩ / ٤٢٣ :

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا ... فأصـبت منهـا مشـرباً ومنامـا

فبـدأتنا ظلمـا بعقـر لقوحنـا ... وأسـأت لمَّـا أن نطقـت كلامـا

فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى ... إنَّـا نـرى لـك حرمـةً وذمامـا

واغـرم لصـاحبنا لقـوحاً متبعـاً ... فلقـد أصـبت بمـا فعلـت أثامـا

فأجابه ابن الحمارس١٩ / ٤٢٣ :

أللّه يعلـم حيـث يرفـع عرشـهُ ... إنـي لأكـره أن أُصـيب أثامـا

أما ادِّعـاؤكَ مـا ادَّعيتَ فإنني ... جئـتُ البـلاد ولا أُريـد مقامـا

فأسمت فيها ما لنا ونزلتها لأُريح فيها ظهرنا أيَّاما

فليُفدِ صاحبكم علينا نعطهِ ما قد سألتَ ولا نراهُ غراما

ومن مذاهبهم؛ أن لكل شاعر شيطاناً يلقي إليه الشعر. قال الراجز ١٩ / ٤٢٤:

إنِّي وإن كنتُ صغير السنِّ

وكان في العين نُبوٌّ عني

فإن شيطاني أمير الجنِّ

يذهب بي بالشعر كلَّ فنّ

وقال حسَّان بن ثابت١٩ / ٤٢٤:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هوَ؟

إذا لم يُشدَّ قبل شدِّ الإزار وذلك فينا الذي لا هوَ

ولي صاحبٌ من بني الشيصبان وطوراً أقول وطوراً هوَ

وكانوا يزعمون أن اسم شيطان الأعشى (مِسحَل) واسم شيطان المُخبَّل (عمرو)، قال الأعشى١٩ / ٤٢٤:

دعوت خليلي مِسمحَلاً ودعوا له جهنَّام جدعا للهجين المذمَّمِ

وقال آخر١٩ / ٤٢٤:

لقد كان جنِّيُّ الفرزدق قدوةً وما كان فينا مثل فحل المُخبَّلِ

ولا في القوافي مثلَ عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثلَ مسحلِ

وقال الفرزدق يصف قصيدته١٩ / ٤٢٤:

كأنها الذهب العقيان حيَّرها لسان أشعر خلق الله شيطانا

وقال أبو النجم١٩ / ٤٢٤:

إني وكلُّ شاعرٍ من البشرْ

شيطانه أُنثى وشيطاني ذكر

وأنشد الخالع فيما نحن فيه لبعض الرُّجَّاز١٩ / ٤٢٥:

إنَّ الشياطين أتوني أربعة

في غلس الليل وفيهم زوبعة

ومن مذاهبهم؛ أنهم كانوا إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره فيأخذون روثةً ويفتُّونها على رأسه ويقولون:

- روثةٌ راث ثائرك. قال أحدهم١٩ / ٤٢٥:

طرحنا عليه الروث والزجر صادقٌ فراث علينا ثأره والطوائلُ

وفي أمثالهم - لمن ذهب دمه هدراً - (هو قتيل العين). قال الشاعر١٩ / ٤٢٥:

ولا أكن كقتيل العين وسطكمُ ولا ذبيحة تشريقٍ وتنحارِ

ومن مذاهبهم؛ اعتقادهم بالخرزات والأحجار والرُقى والعزائم؛ فمنها السلوان - ويُقال السلوة - وهي الخرزة يُسقى العاشق منها فيسلو في زعمهم، وهي بيضاء وشفَّافة. قال الشاعر١٩ / ٤٢٥:

جعلتُ لعراف اليمامة حكمةً وعرَّاف نجدٍ إن هما شفياني

فقالا: نعم نشفي من الداء كلِّهِ فقاما مع العُوَّاد يبتدرانِ

وقال آخر١٩ / ٤٢٦:

سقوني سلوةً فسلوت عنها سقى الله المنيَّةَ من سقاني

وقال الشمردل١٩ / ٤٢٦:

ولقد سُقيتُ بسلوة فكأنما قال المداوي للخيال بها ازددِ

ومن خرزاتهم (الهنمة) تُجتلَب بها الرجال وتُعْطَف بها قلوبهم، ورُقيتها: [أخذته بالهنمة بالليل زوجٌ وبالنهار أمة].

ومنها: الفطسة والقبَلة والدردبيس. كلُّها لاجتلاب قلوب الرجال. قال الشاعر١٩ / ٤٢٦:

جمَّعن من قبَلٍ لهنَّ وفطسةٍ والدردبيس تمائماً في منظمِ

فانقاد كلُّ مشذب مرس القوى لحبالهن وكلُّ جردٍ شيظمِ

وقال آخر١٩ / ٤٢٦:

قطعت القيد والخرزات عني فمن لي من علاج الدردبيس

[أصل الدردبيس: الداهية، ونُقل إلى هذه لقوَّة تأثيرها].

ومن خرزاتهم (القِرزَحْلة). أنشد ابن الأعربي١٩ / ٤٢٧:

لا تنفع القِرزحلة العجائزا

إذا قطعن دونها المفاوزا

ومنها الخصمة: خرزة للدخول على السلطان والخصومة، تُجعل تحت فص الخاتم، أو في زر القميص، أو في حمائل السيف، قال أحدهم١٩ / ٤٢٧:

يُعلّـِق غـيري خصـمةً في لقائـه ومالي عليكم خصمةٌ غير منطقي

وقالت فارك في زوجها١٩ / ٤٢٨:

أتبعتـهُ إذ رحـل العـيس ضـحى
بعـد النـواة روثـهُ حيـث النـوى
الـروث للـرثِّ وللـرأي النـوى

وقال آخر١٩ / ٤٢٨:

رمـت خلفـه لمـا رأت وشـك بينـهِ نـواةً تلتـه روثـةٌ وحصـاةُ
فقالت: نأت منك الديار فلا دنت وراثـت بـك الأخبـار والرجعـاتُ
وحصَّت لـك الآثـار بعـد ظهورهـا ولا فـارق الترحـال منـك شـتات

وقال آخر يخاطب امرأته١٩ / ٤٢٨:

لا تقـذفي خلفـي إذا الركـب اغتـدى
روثـةَ عـيرٍ وحصـاةٍ ونـوى
لـن يـدفع المقـدار أسـباب الـرقى
ولا التهاويـل علـى جِـنِّ الفـلا

الضوء الثالث

متفرّقات

هذا لضوء يشتمل على موضوعات متفرقة، وكل موضوع له علاقة بكلامٍ للإمام علي عليه السلام في استشهادات ابن أبي الحديد، كما هو الحال في الضوءين السابقين. والمتفرِّقات هي:

الرياء

قال الإمام عليه السلام - من خطبةٍ له - : «فاحذروا من الله ما حذَّركم من نفسه، واخشوه خشيةً ليست بتعذير، واعملوا في غير رياء، ولا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكله إلى من عمل١ / ٣١٢».

فاستشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر١ / ٣٢٦:

صلى وصام لأمرٍ كان يطلبهُ حتى حواه فلا صلى ولا صاما

الكرم:

ولقوله عليه السلام: «ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يُوَرِّثه غيرَهُ ١ / ٣١٣».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر ١ / ٣٢٨:

إذا أنت أعطيت الفتى ثم لم تجد لديه بفضل الغيث مالك حامدُ
وقلَّ عناءً عنك مالاً جمعتهُ إذا كان ميراثا ووراك لاحدُ

وقول حاتم الطائي١ / ٣٢٩:

أماويُّ إن يُصبح صدايَ بقفرةٍ من الأرض لا ماءٌ لديَّ ولا خمرُ
تريَ أن ما أنفقت لم يكُ ضرَّني وأن يديَّ ما بخلتُ به صفرُ
أماويُّ ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وقول أحد المحدثين١ / ٣٢٩:

من اشترى بمالـه
حسن الثناء غَبَنا
أفقرهُ سماحه
وذلك الفقر غنى

وقول أبي الطيِّب١ / ٣٢٩:

ذِكْرُ الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ ما قاته وفضول العيش إشغالُ

صلة الرحم

ولقوله: «عليه السلام لا يعدلنَّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخاصَّة أن يَسُدَّها بالذي لا يُزيده إن أمسكه، ولا يُنقِصهُ إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته؛ فإنما تُقبض منه عنهم يدٌ واحدة، وتُقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة١ / ٣١٣».

استشهد ابن أبي الحديد بقول زهير بن أبي سلمى١ / ٣٣٠:

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضله على قومه يُستغنَ عنه ويُذممِ

وقول طرفة١ / ٣٣٠:

وأنتَ على الأدنى شمالٌ عَرِيَّةٌ شآميَّةٌ تزوي الوجوه بليلُ

وأنت على الأقصى صبى غير مرَّةٍ تذاءب منها مزرعٌ وأسيلُ

وقال المقنَّع الكندي١ / ٣٣٠:

لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غنى وإن قلَّ مالي لا أُكلِّفهم رفدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهمُ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

الاعتذار

ولقوله عليه السلام، في معنى قتل عثمان: «لو أمرت به لكنتُ قاتلاً، أو نهيت عنه لكنتُ ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني، وأنا جامعٌ لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأساء الجزع، ولله حكمٌ واقع في المستأثِر والجازع٢ / ١٢٦».

استشهد ابن أبي الحديد بالخبر الآتي:

[قال ضابي بن الحارث البرجي، إذ كان قد خرج على عثمان فحبسه لأنه هجا قوماً فنسبهم إلى أن كلباً يأتي أُمَّهم، فقال لهم٢ / ١٦٠:

فأُمُّكُمُ لا تتركوها وكلبكم فإنَّ عقوق الوالدين كبيرُ

وذكر الخبر رواية أُخرى تقول أن ضابي بن الحارث البرجي، استعار - في

زمان الوليد بن عقبة - كلباً من قومٍ من الأنصار، يُدعى (فرحان) لصيد الضباء، فحبسه عنهم فناغره الأنصاريون، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه فانتزعوه منه، وردُّوه على الأنصار، فهجاهم وقال في ذلك:

تجشَّم دوني وفد فرحان خطَّةً ... تفيل لها الوجناء وهي حسيرُ
فباتوا شباعاً ناعمين كأنما ... حباهم ببيت المُرزبان أميرُ
فكلبُكُمُ لا تتركوا فهوَ أُمُّكم ... فإن عقوق الأُمَّهات كبيرُ

فاستعدوا عليه عثمان فأرسل إليه فعزَّره فحبسه، كما كان يصنع بالمسلمين، فاستثقل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه.

وقال في الفتك يعتذر إلى اصحابه:

هممت ولم أفعل وكدتُ وليتني ... فعلتُ وولَّيت البكاء قلاقله
وقائلةٍ قد مات في السجن ضابئٌ ... ألا مَن لخصمٍ مَن يجد من يُجادله
وقائلةٍ لا يُبعد الله ضابئاً ... فنعم الفتى تخلو به وتحاوله

المغالاة

ولقوله عليه السلام: لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهروان - : «مصارعهم دون النطفة، والله لا يُغلب منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة.

روى أبو العباس إذ قال: لقد كان عليٌّ عليه السلام عثر على قومٍ خرجوا من محبَّته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربِّهم، وجحدوا ما جاء به

نبيّهم، واتخذوه ربّاً وإلهاً، وقالوا: فاستتابهم وتوعّدهم، قأقاموا على قولهم، فحفر لهم حُفَراً ودخّن عليهم فيها طمعا في رجوعهم، فأبوا فمرقهم بالنار، وقال:

ألا ترون قد حفرتُ حُفَرا
إني - إذن - رأيت أمراً منكَرا
وقَدْتُ ناري ودعوتُ قنبرا

وروى أبو العباس: أنه عليه السلام، مر بهم وهم يأكلون في شهر رمضان فقال:

- أسفرٌ أم مرضى؟

قالوا:

- ولا واحدة منهما.

قال:

- أفمن أهل الكتاب أنتم؟

قالوا:

- لا.

قال:

- فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً؟

قالوا:

- أنت أنت.

لم يزيدوه على ذلك.

ففهم مرادهم، ونزل عن فرسه فألصق خدَّه بالتراب، ثم قال:

- ويلكم! أنا عبدٌ من عبيد الله، وارجعوا إلى الإسلام.

فأبوا، فدعاهم مراراً فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم ثمَّ قال:

- شدُّوهم وثاقاً، وعليَّ بالفعلة والنار والحطب.

ثم أمر بحفر بئرين فحُفِرَتا، فجعل إحداهما سرباً والأُخرى (١٠) مكشوفة وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحاً، وألقى النار في الحطب، فدخَّن عليهم، وجعل يهتف بهم ويُناشدهم:

- ارجعوا إلى الإسلام.

فأمر بالحطب والنار، وأُلقيَ عليهم، فاحترقوا، فقال الشاعر٥ / ٥ - ٦:

لِتَرِمِ بيَ المنيَّةُ حيث شاءت إذا لم ترمِ بي في الحفرتينِ

إذا ما حشَّتا حطباً بنارٍ فذاك الموت فقداً غير دينِ

فلم يبرح واقفاً عليهم حتى صاروا حمما.

ولقوله عليه السلام:

«والله لو شئت لأخبرت كلَّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وإني مفضيه إلى الخاصَّة، ممن يُؤمَن ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق،

ما أنطق إلاّ صادقا.

قال شاعرهم١٠ / ١٣ :

ومـن أهلـك عـاداً وثمـوداً بدواهيـه
ومـن كلَّم موسـى فـوق طـورٍ إذ يُناديـه
ومن قال على المنبر يوماً، وهوَ راقيه،
سلوني أيُّها النـاس فحـاروا في معانيـه

وقال أحد شعرائهم١٠ / ١٣ :

إنمـا خـالق الخلائـق مـن زعـ ـزع أركـان حصـن خيـبر جـذبا
قـد رضينـا بـه إمامـاً ومـولى وسجـدنا لـه إلهـاً وربَّـا

بين معاوية وعمرو بن العاص

ولقوله عليه السلام «فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين؛ فأخذنا عليهما أن يُجعجعا عند القرآن ولا يُجاوزاه، وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه، فتاها عنه وتركا الحقَّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما والاعوجاج رأيهما، وقد سبق استنثارنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما، وأتيا بما لا يُعْرف من معكوس الحكم.

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[بعث معاوية كتابا إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، إذ كتب إليه يقول١٠ / ٥٥ - ٥٧ : (أما بعد؛ فإنَّ سُؤَّال أهل الحجاز وزوَّار أهل العراق كثروا

عليَّ، وليس عندي فضلٌ من أُعطيات الحجاز، فأعنِّي بخراج مصر هذه السنة). فكتب عمرو إليه:

معاويَ إن تدريك نفس شحيحةٌ ... فما مصر إلاَّ كالهباءة في الذبِّ
وما نِلتها عفواً ولكن شرطتُها ... وقد وارت الحرب العوان على قطبِ
ولولا دفاعي الأشعريَّ ورهطهُ ... لألفيتها ترغو كراغية السقب]

ثم كتب في ظاهر الكتاب:

معاويَ حظيَّ لا تغفل ... وعن سُنن الحق لا تعدلِ
أتنسى مخادعتي الأشعري ... وما كان في دومة الجندل؟
ألين فيطمع في تمرتي ... وسهميَ قد خاض في المقتلِ
فألْمُظهُ عسلاً بارداً ... وأخبأُ من تحتهِ حنظلي
وأعليته المنبر المشمخر ... كرجع الحسام إلى المفصلِ
فأضحى لصاحبه خالعاً ... كخلع النعال من الأرجلِ
وأثبتُّها فيك موروثةً ... ثُبوت الخواتم في الأنملِ
وهبت لغيريَ وزن الحبال ... وأعطيتني زنة الخردلِ
وأن عليَّاً غدا خصمنا ... سيحتجُّ باللّه والمُرسَل
وما دام عثمان مُنجٍ لنا ... فليس عن الحقِّ من مزحلِ

بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان

من كلام له عليه السلام كلَّم به طلحة والزبير - بعد بيعته بالخلافة - وقد

عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأُمور بهما، قوله عليه السلام:

«لقد نِقتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، ألا تُخبراني أيَّ شيءٍ كان لكما فيه حق دفعتُكما عنهُ؟ أم أيُّ قسمٍ استأثرت عليكما به؟ أو أيُّ حقٍّ رفعه إليَّ أحد المسلمين ضعفتُ عنه؟ أم جهلته؟ أم أخطأتُ بابه؟».

ثم قال عليه السلام: «رحم الله رجلاً رأى حقّاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فردَّه، وكان عوناً بالحق على صاحبه».

*كتب مصعب بن الزبير كتاباً إلى عبد الملك يقول فيه١١ / ٨و١٨:

ستعلم يا فتى الزرقاء أني ... سأهتكُ من حلائلك الحجابا

وأترك بلدةً أصبحتُ فيها ... تَهوَّر من جوانبها خرابا

فكتب عبد الملك إليه:

أتوعدني ولم أرَ مثلَ يومي ... خشاش الطير يوعدهُ العقابا؟

متى تلقَ العقاب خشاش طيرٍ ... يُهتِّكْ عن مقاتلها الحجابا

أتوعد بالذئاب أُسود غابٍ ... وأُسْدُ الغاب تلتهم الذئابا؟

إفشاءُ السر

ولقوله عليه السلام: «وذلك زمانٌ لا ينجو فيه إلاَّ كلُّ مُؤمِّنٍ نومةً؛ إن شهد لم يعرف، وإن غاب لم يُفتقد، أولُئك مصابيح الهدى ويفتح لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضرَّاء نقمته».

استشهد ابن أبي الحديد بقول صالح بن عبد القُدُّوس٧ / ١٣:

مـــن يُخبِّـــرك بشـــتمٍ عـــن أخٍ فهـــوَ الشـــاتم لا مـــن شـــتمكْ

ذاك شـــيءٌ لم يواجهـــك بـــه إنمـــا اللـــوم علـــى مـــن أعلمـــك

كيـف لم ينصـركِ إن كـان أخـاً؟ ذا حفـاظٌ عنـد مـن قـد ظلمـك

وقول طريح بن إسماعيل الثقفي٧ / ١٣:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا شـــرَّاً أذاعـــوا وإن لم يعلمواكـــذبوا

وقول الشاعر١١ / ٢٢١:

كتمـتُ حبَّـك حتـى منـك تكرمـةً ثم استوى فيك إسراري وإعلاني

كأنه غاض حتى فاض من جسدي فصـار سُـقمي بـه في جسـم كتمـانِ

الخمر، وعمر بن الخطاب

ولقوله عليه السلام: «لله بلاد فلان، لقد قُوِّمِ الأوَد، وداوس العمد، وأقام السُنَّة، وخلَّف الفتنة، ذهب نقيَّ الثوب قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرَّها، أدَّى إلى الله طاعته، واتَّقاه بحقِّه، رحل وتركهم في طرقٍ متشعِّبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي١٢ / ١٣».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[إن عمر بن الخطاب استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان، فبلغه عنه الشعر الذي قاله، وهو١٢ / ٢٣ - ٢٤:

ومـن مبلـغ الحسـناء أن حليلـها بميسـان يشـقى مـن زجـاجٍ وحنـتمِ
إذا شـئت غنَّـت في دهـاقين قريـةٍ وصـنَّاجةٍ تحـدو عـل كـلِّ منسـمِ
فإن كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسـقني بـالأكبر المتـثلِّمِ
لعـل أميـر المـؤمنين يسـوؤهُ تنادمنـا في الجـوسق المتهـدِّمِ

فكتب إليه:

[بسم الله الرحمن الرحيم «حَسَم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم*غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلاَّ هو إليه المصير.

أما بعد: فقد بلغني قولك:

(لعلَّ أمير المؤمنين يسوؤهُ)

وأيم الله أنه ليسوؤني، فأقدم فقد عزلتك]

فلما قدم عليه قال:

- يا أمير المؤمنين، والله ما شربتها قط، وإنما هو شعرٌ طفح على لساني، وإنا لشاعر.

فقال عمر:

- أظنُّ ذلك، ولا تعمل لي على عملٍ أبداً.

واستعمل عمر رجلاً من قريش على عملٍ فبلغه أنه قال:

اسـقني شـربةً تُـروِّي عظـامي واسـقِ بـالله مثلها ابـن هشـامِ

فأشخصه إليه، ففطن القرشيُّ فضم إليه بيتاً آخر، فلما مثل بين يديه قال

له:

أنت القائل:

(اسقني شربةً تُروِّي عظامي)؟

قال:

- نعم يا أمير المؤمنين فهلاً أبلغك الواشي ما بعده؟

قال: ما الذي بعده؟

قال:

عســـلاً بـــارداً بمـــاءٍ غمـــامٍ إنـــني لا أُحـــبُّ شـــرب المُـــدامِ

قال:

- الله الله.

ثم قال:

- ارجع إلى عملك.

وبينا كان عمر يعسُّ ذات ليلةٍ انتهى إلى باب متجافٍ، وامرأةٌ تغني نسوة١٢ / ٢٧:

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجَّاجِ

فقال عمر:

- أما عشت فلا.

فنفاه إلى البصرة ومن هناك كتب إلى عمر:

لعمري لئن سيَّرتني وحرمتني ... لما نلت من عرقي عليك حرامُ
أئن غنَّت الذلفاء يوماً بغنيةٍ ... وبعض أمانيِّ النساء غرامُ
ظننتَ بيَ الظنَّ الذي ليس بعدهُ ... بقاءٌ فمالي في النديِّ كلامُ
وأصبحتُ منفياً على غير ريبة ... وقد كان لي في المكَّتين مقامُ
سيمنعني مما تظن تكرُّمي ... وآباء صدقٍ سائغون كرامُ
ويمنعها مما تمنّـَت صلاتها ... وحالٌ لها في دينها وصيامُ
فهاتان حالانا فهل أنت راجعٌ؟ ... فقد جُبَّ مني كاهلٌ وسنامُ

فقال عمر:

- أما ولِّيَ ولايةً فلا.

وأقطعه أرضاً بالبصرة ودارا.

ولما قُتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة.

وكان عمر أصلع فلما حلق وفرة نصر بن حجَّاج قال نصر، وكان شاعراً ١٢ / ٢٨:

تضنَّ ابن خطَّابٍ عليَّ بحجَّةٍ ... إذا رُجِّلتْ تهتزُّ هزَّ السلاسلِ
فصلَّع رأساً لم يصلَّعه ربُّهُ ... يرفُّ رفيفاً بعد أسود جائلِ
فقد حسد الغرمان أسود لم يكن ... إذا ما مشى بالفرع بالمتخايلِ

وخافت المرأة، التي سمع عمر منها ما سمع، أن يبدر إليها منه شيء فدسَّت إليه أبياتاً ١٢ / ٢٩:

قل للأمير الذي تُخشى بوادرهُ ... مالي وللخمر أو نصر بن حجَّاجِ
إني بُليت - أبا حفصٍ - بغيرهما ... شرب الحليب وطرفٍ فاترٍ ساجِ
لا تجعل الظنَّ حقَّاً أو تبيِّنه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجي
ما منيةٌ قلتها عرضاً بضائرةٍ ... والناس من هالكٍ قدماً ومن ناج
إن الهوى رعية التقوى نقيِّدهُ ... حتى أقرَّ بألجامٍ وإسراجِ

فبكى عمر وقال: الحمد لله الذي قيَّد الهوى بالتقوى.

* ومن عهدٍ لهُ عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله حين قلَّده مصر ١٥ / ١٦٣:

«... واعلم يا محمد بن أبي بكر، إني ولَّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر فأنت محقوقٌ أن تخالف على نفسك، وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلاَّ ساعة من الدهر، ولا تُسخط الله برضا أحدٍ من خلقه، فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلفٌ في غيره.»

استشهد ابن أبي الحديد بقول هرمة، الحسن بن زيد بن الحسن - وكان والياً على المدينة - عن الخمرة ١٥ / ١٦٩:

نهاني بن الرسول عن المُدام ... وأدَّبني بآداب الكرامِ
وقال ليَ اصطبرعنها ودعها ... لخوف الله لا خوف الأنامِ
وكيف تصبُّري عنها وحبِّي ... لها حبٌّ تمكَّن في عظامي
أرى طيب الحلال عليَّ خبثاً ... وطيب النفس في خبث الحرامِ

*ولقوله عليه السلام:

«... وإني إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راج، ولكنني آسي أن يلي هذه الأُمَّة سفهاؤها وفُجَّارها، فيتَّخذوا مال الله دولاً وعباده خَوَلاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً؛ فإن منهم الذي شرب منكم الحرام، وجلد حداً في الإسلام».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الحطيأة يذكر الوليد بن عقبة١٧ / ٢٢٥ - ٢٢٩:

شهد الحطيأة يوم يلقى ربَّه ... أن الوليد أحقُّ بالعذرِ
نادى وقد تمَّت صلاتهمُ ... أأزيدكمُ - مكراً - ولم يدرِ
فأبوا أبا وهبٍ ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوترِ
كفُّوا عتابك إذ جُزيت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري
قرَّعتَ مكذوباً عليك ولم ... تردد إلى عذرٍ ولا فقرِ

وقوله فيه ايضاً١٧ / ٢٣٠:

تكلَّم في الصلاة وزاد فيها ... علانيةً وأعلن بالنفاقِ
ومجَّ الخمر في سَننِ المصلَّى ... ونادى والجميع إلى افتراقِ
أُزيدكمُ على أن تحمدوني ... فما لكمُ وما لي من خلاقِ

وقيل إن الوليد شرب بالكوفة وقام ليصلِّي بهم الفجر في المسجد الجامع، فصلَّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال:

- أُزيكم؟

وتقيَّأ في المحراب بعد أن قرأ فيهم رافعاً صوته في الصلات١٧ / ٢٣٠:

غلـــق القلـــب الربابـــا بعـــد مـــا شابـــت وشابـــا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره وشهدوا عليه بشرب الخمر، فأمر عثمان بضرب الحد، قال الوليد، بعدما شهدوا عليه،:

أللهم أنهم قد شهدوا عليَّ بالزور، ولا ترضهم عن أمير ولا تُرض عنهم أميرا.

وقد عكس الحطيأة أبياته فجعلها مدحاً للوليد١٧ / ٢٣٠ - ٢٣١:

شهد الحطيأة حين يلقى ربَّهُ أن الوليـــد أحـــقُّ بالعـــذرِ

كفُّوا عنانك إذ جريت ولو تركوأ عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائـــل ماجـــدٍ أنِـــفٍ يُعطي على الميسور والعسر

فنزعـــت مكذوبـــاً عليـــك ولم تنـــزع علـــى طمـــعٍ ولا ذعـــرِ

وارتجز الوليد يوماً، وهو يسوق بقومٍ يعزِّرونه، منهم عديُّ بن حاتم الطائي١٧ / ٢٣٣:

لا تحسبنَّا قد نسينا الأحقاف

والنشـواتِ مـن معتَّـقٍ صـاف

وعـزف قينـاتٍ علينـا عـزاف

وكان نصير الطائي نديماً للوليد بن عقبة أيام ولايته بالكوفة، ولما شهدوا

عليه بالسكر من الخمر خرج من الكوفة معزولاً، فقال أبو زبيد يتذكَّر أيامه وندامته١٧ / ٢٣٤ - ٢٣٥:

من يرى العيرَ أن تمشي على ظهـ ـــرالمروى حـــداتهنَّ عجـــالُ
ناعمـاتٌ والبيـت بيـت أبـي وهـ ـــب خـلاءٌ تحـنُّ فيـه الشـمالُ
يعـرف الجاهـل المضـلّلُ أن الـ ـدهرَ فيـه النكـراء والزلـزالُ
ليـت شـعري كـذاكم العهـد أم كـا ن فـيهم عـزٌّ لنـا وجمـالُ
ووجـوهٌ تمـدُّنا مشـرفاتٌ ونـوالٌ إذا أُريـدَ نـوالُ
أصـبح البيـت قـد تبـدَّل بـالحي وجوهـاً كأنهـا الأقيـالُ
كـلُّ شـيءٍ يحتـال فيـه الرجـالُ غـير أنْ لـيس للمنايـا احتيـالُ
ولعمـر الإلـهِ لـو كـان للسيـ ـف مضـاءٌ وللسـان مقـالُ
مـا تناسـيتك الصـفاء ولا الـودَّ ولا حـال دونـك الإشـغالُ
ولحرَّمـتُ لحمـك المتعضِّـ ـلة ضـلَّ حلمهـم مـا اغتـالوا
قـولهم شـربك الحـرام وقـد كـا ن شـراب سـوء الحـرام حـلالُ
وابـن ظـاهر العـداوة والشـنآ ن إلاَّ مقـال مـا لا يُقـالُ
مـن رجـالٍ تعارضـوا منكـراتٍ لينـالوا الـذي أرادوا فنـالوا
غـير مـا طـالبين ذحـلاً ولكـن مـال دهـرٌ علـى أُنـاسٍ فمـالوا
مـن يخنـك الصـفاء أو يتبـدَّل أو يـزل مثلمـا يـزول الظـلالُ
فـاعلمن أنـني أخـوك أخـو الـودِّ حيـاتي حتـى تـزول الجبـالُ
لـيس بُخلـي عليـك يومـاً بمـالٍ أبـداً مـا أقـلَّ فعـلاً قبـالُ

ولـك النصـر باللسـان وبالـكفِّ إذ كـان للـيدينِ مصـالُ

*أذن عمر يوماً للناس، فدخل شيخٌ كبيرٌ يعرج، وهو يقود ناقةً رجيعاً يُجاذبها، حتى وقف بين ظهراني الناس، ثم قال:

وأنـك مسـترعي وأنَّـا رعيَّـةٌ وأنـك مـدعوٌّ بسـيماك يـا عمـر

لـدى يـوم شـرٍّ شـرُّهُ لشـرارهِ وخـيرٌ لمـن كانـت موانسـه الخـيرُ

فقال عمر:

- لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

قال

- عمر بن برَّاقة.

قال:

- ويحك! فما منعك أن تقول {واعلموا أن ما غنمتم من شيءٍ فإن لله خمسه وللرسول}؟

ثم قرأها إلى آخرها، وأمر بناقته فقُبضِت، وحمله على غيرها، وكساه وزوَّده.

وبينا عمرٌ يسير في طريق مكَّة يوماً إذا بالشيخ بين يديه يرتجز، ويقول ١٢ / ٤١:

مـا أن رأيـت كفتـى الخطَّـابِ
أبـــرَّ بالـــدين وبالأحســـاب
بعـد الـنبيِّ صـاحب الكـتابِ

*كان عمر بن العاص قد كلَّم عمر بن الخطَّاب في الحطيأة، وكان محبوساً، فأخرجه من السجن، ثم أنشد١٢ / ٤١:

مـاذا تقـول لأفـراخٍ بـذي مـرخٍ زُغبُ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ؟
ألقيـت كاسـبهم في قعـر مظلمـةٍ فـاغفر عليك سـلام اللّه يـا عمـرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألـق إليـه مقاليـد النهـى البشـرُ
مـا آثـروك بهـا إذ قدَّمـوك لهـا لكـن لأنفسـهم كانـت بـك الأثـرُ

*جاءت امرأة إلى عمر بن الخطَّاب فقالت:

- يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وإنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله.

فقال:

- نعم الزوج زوجك!

فجعلت تكرِّر عليه القول، وهو يكرِّر عليها الجواب.

فقال له كعب بن سور:

- إنها تشكو زوجها في مباعدته إيَّاها عن فراشه، فغطَّى عمرٌ - حينئذ - وجهه وقال:

- قد ولَّيتك الحكم بينهما!

فقال كعب:

- عليٌّ بزوجها.

فأُتيَ به فقال:

- إن زوجتك هذه تشكوك.

قال:

- في طعامٍ أم شراب؟

قال:

- لا.

قالت المرأة١٢ / ٤٧:

يـــا أيهـــا القاضـــي الحكـــيم رَشَـــدُهْ
ألهـــى خليلـــي عـــن فراشـــي مســـجدُهْ
زهَّـــــدهُ في مضـــــجعي تعبُّـــــدُهْ
نهـــــاره وليلـــــه مـــــا يرقـــــدُهْ

فقال زوجها:

زهَّـــدني في فرشـــها وفي الحَمَـــلْ
إنـــي امـــرؤٌ أذهلـــني مـــا قـــد نـــزل
في ســـورة النمـــل وفي الســـبع الطُـــوَلْ
وفي كتـــــاب اللّه تخـــــويفٌ جـــــللْ

قال كعب:

إن لهـــا حقَّـــاً عليـــك يـــا رجـــلْ
تصـــيبها في أربـــعٍ لمـــن عقـــلْ
فأعطهـــا ذاك ودع عنـــك العلـــلْ

فقال لعمر:

- إن الله أحلَّ من النساء مثنىً وثلاث ورباع، فله ثلاثة أيام ولياليهن، يعبد فيها ربَّه، ولها يومٌ وليلة.

فقال عمر:

- والله ما أعلم من أيِّ أمريك أعجب؟ أمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد ولَّيتك قضاء البصرة.

*أتى أعرابي عمر فقال:

- إن ناقتي فيها نقباً ودَبَراً، فاحملني.

فقال له:

- واللهِ ما ببعيرك من نقب ولا دَبَر.

فقال١٢ / ٦٢ :

أُقسم باللّه أبو حفصٍ عمرْ
ما مسَّها من نقَبٍ ولا دَبَرْ
فاغفر له اللهم إن كان فجرْ

فقال :

- اللهم اغفر لي.

ثم دعاه فحمَّله.

*بينا عمرٍ ذات ليلةٍ سمع امرأةً من سطيح وهي تنشد١٢ / ٦٣ :

تطاول هذا الليل وازورَّ جانبُهْ ... وليس إلى جنبي خليلٌ أُلاعبُهْ
فو اللّه لولا اللّه تُخشى عواقبُهْ ... لزُعْزِعَ من هذا السرير جوانبُهْ
مخافة ربِّي والحياء يصدُّني ... وأُكْرِم بعلي أن تُنال مراكبُهْ
ولكنني أخشى رقيباً موكَّلاً ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبُهْ

ثم جاء إلى ابنته حفصٍ فسألها :

- كم تصبر المرأة المُغيَّبة عن بعلها؟

قالت :

أقصاه أربعة أشهر.

فكتب إلى عمَّاله ألاَّ تُجمَّر البعوث وأن لا يُغيَّب رجلٌ عن أهله أكثر من أربعة أشهر.

* حجَّ عمر فلما كان بضحنان قال:

- لا إله إلاَّ الله العليُّ العظيم، المعطي ما يشاء لمن يشاء، أذكر وأنا أرعى إبل الخطَّاب بهذا الوادي في مدرعة - صوف - وكان فظَّاً يُتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصَّرت، وقد أمسيت اليوم وليس بيني وبين الله أحد. ثم تمثَّل ١٢ / ٦٤:

لا شيء مما يُرى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويُودى المال والولدُ
لم تُغنِ عن هرمزٍ يوما خزائنهُ ... والخُلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها يردُ
أين الملوك التي كانت منازلها ... من كلِّ أوبٍ أليها راكبٌ يفِدُ
حوضٌ هنالك موروداً بلا كذِبٍ ... لابدَّ من وِرْدِهِ يوماً كما وردوا

*سمع عمر منشداً ينشد قول طرفة١٢ / ٦٥:

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى ... وجدِّك لم أحفل متى قام عُوَّدي
فمنهنَّ يُسقى العاذلون بشربةٍ ... كميتٍ متى ما تعلو بالماء تزبدِ
فكرِّي إذا نادى المضاف محنِّباً ... كسِيد الفضا نبَّهته المتوسِّدِ
وتقصير يوم الدجنِ والدجن معجبٌ ... ببهكنة تحت الطراف الممدَّدِ

فقال:

- وأنا لولا ثلاث من عيشة الفتى لم أحفل متى قام عُوَّدي؛ أن أُجاهد في سبيل الله وأن أضع وجهي في التراب لله وأن أُجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب التمر.

*وقف أعرابي على عمر فقال له١٢ / ٦٥:

يـا إبـن خطَّـاب جُزيـت الجنَّـة
أُكـــسُ بنيَّـــاتي وأُمَّهـــنَّ
أُقســـم بـــالله لتـــفعلنَّ

فقال عمر:

- إن لم أفعل يكون ماذا؟

قال:

إذن أبا حفصٍ لأمضينَّ.

إذا مضيت يكون ماذا؟

قال:

تكـــون في حـــالي لتُســـألنَّ
يـــوم تكـــون الأُعطيـــات منَّـــة
والواقـــف المســـؤول يـــذهبنَّ
أمـــا إلى نـــارٍ وأمَّـــا جنَّـــة

فبكى عمر ثم قال لغلامه:

- اعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله ما أملك ثوباً غيره.

العقوبة

كان عمر، ومن بعده الولاة، إذا أخذوا العَصاة نزعوا عمائمهم، وأقاموا

للناس، حتى جاء زياد فضربهم بالسياط، فحلق مع الضرب، فجاء بشر بن مروان، فكان يصلب تحت الإبطين، ويضرب الأكف بالمسامير، فكتب إليه بعض الجند قومٌ من أهله يستزيدونه، وقد أخرجه بِشر إلى الري فكتب إليهم١٢ / ٤٥:

لولا مخافة بِشرٍ أو عقوبتهُ ... أو أن يرى شانئيّ كفِّي بمسمارِ

إذن لعطَّلت ثغري ثم زرتكمُ ... إن المحبَّ المُعنَّى جد زوَّارِ

فلما جاء الحجَّاج قال: كلُّ هذا لعب، فقتل العُصاة بالسيف.

الوصف

مما نُسب إلى امرئ القيس قوله في وصف الحرب١٢ / ١١٩:

الحرب أوَّل ما تكون فتيَّةً ... تسعى بزينتها لكلِّ جهولِ

حتى إذا استعرت وشبَّ حزامها ... عادت عجوزاً غير ذات خليلِ

شمطاء جزَّت رأسها وتنكَّرت ... مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ

القضاة

ولقوله عليه السلام:

«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيَّتك في نفسك، عمن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلَّة، ولا يحصر من الفئ إلى الحق، إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، بأدنى فهمٍ دون أقصاه».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول١٧ / ٥٨ - ٦٢:

[خرج شريك، وهو على قضاء الكوفة، يتلقى الخيزران، وقد أقبلت تريد

الحج، وقد كان استُقضي وهو كاره، فأتى شاهي فأقام بها ثلاثاً، فلم توافِ، فخفَّ زاده وما كان معه، فجعل يُبلِّلهُ بالماء ويأكله بالملح، فقال العلاء بن المنهال الغنوي:

فإن كان الذي قد نلت حقَّاً ... بأن قد أكرهوك على القضاءِ
فما لك موضعا في كلِّ يومٍ ... تُلقِّي من يحجُّ من النساءِ
مقيما في قرى شاهي ثلاثاً ... بلا زادٍ سوى كِسَرٍ وماءِ

وبروايةٍ أُخرى تقول: تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمر بن حريث - وكانت جميلة - وأخوها الوليد بن سريع إلى عبد الملك بن عمير - وهو قاضٍ في الكوفة - فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي١٧ / ٦٢ - ٦٣:

أتاهم وليدٌ بالشهود يسوقهم ... على ما ادعى من سامت المال والخوَلْ
وجاءت إليهِ كلثمٌ وكلامها ... شفاءٌ من الداء المخامر والخجلْ
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقِّهِ ... وكان وليدٌ ذا سراءٍ وذا جدلْ
فولَّهت القبطيَّ حتى قضى لها ... بغير قضاء الله في محكم الطِوَلْ
فلو كان من في القصر يعلم علمه ... لما استُعمِل القبطيُّ فينا على عمل
له - حين يقضي للنساء - تخاوصٌ ... وكان وما فيه التخاوص والحَوَلْ
إذا ذات دلٍّ كلَّمته لحاجةٍ ... فهمَّ بأن يقضي، تنحنح أو سعلْ
وبرَّق عينيهِ ولاك لسانه ... يرى كلَّ شيءٍ، ما خلا وصلها، جللْ

وبروايةٍ أُخرى تقول: إن أبا دلامة دخل ليشهد عند أُبَي فقال - حين

جلس - بين يديه١٧ / ٦٢ - ٦٣:

إذا الناس غطَّوْني تغطَّيت عنهمُ وإن بحثوا عنِّي ففيهم مباحثُ

وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلمَ ما تخفيه تلك النبائث

وبروايةٍ أُخرى تقول: ارتفعت جميلة بنت عبس بن جراد - وكانت جميلة كاسمها - مع خصمٍ لها إلى الشعبي - وهو قاضي عبد الملك - فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي١٧ / ٦٦:

قد فتى الشعبيُّ لما رفع الطرف إليها

فتتهُ بثنايا ها وقوسيِّ حاجبيها

ومشت مشياً رويداً ثم هزَّت منكبيها

فقضى جوراً على الخصـ ـم ولم بقضِ عليها

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطا.

وبروايةٍ أُخرى تقول: إن رجلاً سافر مع أصحابٍ له فلم يرجع حين رجعوا، فاتَّهم أهلُهُ أصحابَهُ، ورفعوه إلى شريح فسألهم البيِّنة على قتله، فارتفعوا إلى علي عليه السلام فأخبروه بقول شريح فقال ١٩ / ١٢٢:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتملْ

يا سعد لا تروِ بهذاك الإبل

ثم قال: إن أهون السقي التشريع، ثم فرَّق بينهم فسألهم، فاختلفوا، ثم أقرُّوا بقتله، فقتلهم به.

الصدقات

كان مالك بن نويرة والياً على صدقات قومه بني يربوع من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولما بلغه وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمسك عن أخذ الصدقة من قومه وقال لهم؛ تربَّصوا بها حتى يقوم قائمٌ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وننظر ما يكون من أمره، وقد صرَّح بذلك في شعره حيث يقول ١٧ / ٢٠٥:

وقال رجالٌ: سدَّد اليوم مالكٌ ... وقال رجالٌ: مالكٌ لم يُسدِّدِ

فقلت: دعوني لا أبا لأبيكمُ ... فلم أخطِ رأياً في المقام ولا الندي

وقلت: خذوا أموالكم غير خائفٍ ... ولا ناظرٍ فيما يجيء به غدي

فدونكموها إنما هيَ مالكم ... مصوَّرةٌ أخلاقها لم تُجدَّدِ

سأجعل نفسي دونما تحذرونه ... وأرهنكم - يوماً بما قلتهُ - يدي

فإن قام بالأمر المجدَّدِ قائمٌ ... أطعنا وقلنا: الدَين دَين محمَّد

وبما روى أبو جعفر شعراً للخطيل بن أوس، أخي الحطيأة في منع الزكاة، وأن أبا بكرٍ ردَّ سؤال العرب ولم يُجبهم، من جملته١٧ / ٢١٠:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكرِ

أيورثها بكراً إذا مات بعدهُ؟ ... وتلك - لعمر الله - قاصمة الظهرِ

فهلاَّ رددتم وفدنا بإجابةٍ؟ ... وهلاَّ حبستم منه راسية البكرِ؟

فإنَّ الذي سالوكُمُ فمنعتُمُ ... لكتم أو احلى لحلف بني فهرِ

الفلسفة

ولقوله عليه السلام: «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، على وجودهِ وباشتباههم على أن لا شبه له».

فقال ابن أبي الحديد وهو يرد على الفلاسفة، الذين علَّلوا حركة الفلك بأنه أراد استخراج الوضع أولاً؛ ليُشبِّه بالعقل المجرَّد في كماله، وإنَّ كل ما له بالقوَّة خارجٌ بالفعل / ٥٠و٥٣ - ٥٤:

تحيَّر أرباب النهى وتعجَّبوا ... من الفلك الأقصى لماذا تحرَّكا

فقيل بطبعٍ كالثقيل إذا هوى ... وقيل اختياراً والمحقِّق تسلكا

فرُدَّ حديث الطبع إذ كان دائراً ... وليس على سمتٍ قويمٍ فيسلكا

وقيل لمن قال اختياراً فما الذي ... دعاه إلى أن دار ركضاً فأوشكا

فقالوا لوضعٍ حادثٍ يستجدُّهُ ... يُعاقب منه مطلباً ثم متركا

فقيل لهم هذا الجنون بعينهِ ... ولو رامهُ منا امرؤٌ كان أعفكا

ولو أن إنساناً غدا ليس قصدهُ ... سوى الوضع واستخراجه عُدَّ مضحكا

وقال، أيضاً في الرد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى الله سبحانه بالعين١٣ / ٥٤:

عجبت لقوم يزعمون نبيُّهم رأى ربَّهُ بالعين، تبَّاً لهم تبَّا
وهل تدرك الأبصار غير مكيَّفٍ؟ وكيف تبيح العين ما يمنع القلبا؟
إذا كان طرف القلب عن كنهه نبا حسيراً فطرف العين في كنهه أنبى

الاستجارة

ولقوله عليه السلام، من كتابٍ إلى معاوية جواباً:

«فإسلامنا ما قد سُمِع، وجاهتنا لا تُدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عنا، وهو قوله سبحانه وتعالى:

{ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ }.

وقوله تعالى:

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ }.

فنحن مرَّةً أولى بالقرابة وتارةً أولى بالطاعة».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول ١٥ / ١٨٢ - ٢٣٠:

[منع حرب بن أُمية تاجراً اسمه ابن حاجب زرارة التميمي من دخول مكة؛ لأنه سبقه في اجتياز العقبة. ولما كان متجره وداره في مكة قصد الزبير بن عبد المطلب وأناخ ناقته ببابه فرغت الناقة، فخرج إليه الزبير فقال:

- أمستجيرٌ فتجار أم طالب قِرى فتُقرى؟

فقال١٥ / ٢٣٠:

لاقيــتُ حربــاً بالشيَّــة مقــبلاً ... والليــل أبلــج نــوره للســاري
فعــلا بصــوتٍ واكتنــى ليروعــني ... ودعــا بــدعوة معلــنٍ وشــعارِ
فتركتــه خلفــي وجــزت أمامــهُ ... وكذاك كنــت أكون في الأسـفارِ
فمضــى يُهــدِّدني ويمنــع مكَّــةً ... أن لا أحــلَّ بهــا بــدار قــرارِ
فتركتــهُ كالكلــب ينــبح وحــدهُ ... وأتيــت قــرمَ مكــارمٍ وفخــارِ
ليثــاً هزبــرأ يُســتَجار بقُربــهِ ... رحــب المبــاءة مكرمــاً للجــارِ
وحلفــت بالبيــت العتيــق وحجَّــةٍ ... وبزمــزمٍ والحجــر والأستــارِ]

فقال الزبير:

- اذهب إلى المنزل فقد أجرتك.

إلى آخر الرواية في صـ٢٣١.

وبروايةٍ أُخرى تقول:

[إن نوفل بن عبد مناف ظلم عبد المطلب بن هاشم أركاحاً له بمكَّة - وهي الساحات - فاستنجد أخواله من بني النجار بيثرب، فأقبل معه سبعون راكباً فطلبوا منه ردَّها فردَّها، فقال عبد المطلب١٥ / ٢٣٢:

تــأبَّى مــازنٌ وبنــو عــديٍّ ... وذبيــان بــن تــيم الــلاة ضــيمي
وزادت مالــكٌ حتــى تناهــت ... ونكَّب بعـد نوفـل عـن حريمـي]

ولقوله عليه السلام، من كتابٍ إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يُريد خديعته باستلحاقه:

«وقد عرفت أن معاوية كتب إليك ينزل لبَّك، ويستغلُّ غربك، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرْءَ من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ليقتحم غفلته، ويستلب غرَّته، وقد كان ابن أبي سفيان في زمن عمر بن أبي الخطاب فلتة من حديث النفس، ونزعةً من نزعات الشيطان، لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها إرث، والمتعلِّق بها كالواغل المدقَّع، والنوط المذبذب»

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[إنَّ عمر بعث زياداً في إصلاح فساد واقعٍ في اليمن، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبةً لم يُسمع مثلها، وأبو سفيان حاضرٌ وعليٌّ عليه السلام وعمر بن العاص، فقال عمر بن العاص:

- لله أبو هذا الغلام، لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه؛ فقال

أبو سفيان:

إنه لقرشي، وأنا لأعرف الذي وضعه في رحم أُمِّه.

فقال عليٌّ عليه السلام:

- ومن هو؟

قال:

- أنا

فقال:

- مهلاً يا أبا سفيان.

فقال أبو سفيان١٦ / ١٨٠ :

أما والله لولا خوف شخصي ... يراني يا عليٌّ من الأعادي

لأظهر أمره صخر بن حربٍ ... ولم يخفِ المقالة في زيادِ

وقد طالت مجاملتي ثقيفاً ... وتركي فيهمُ تمر الفؤادي

وكان زياد بن أبيه (ابن أبي سفيان) والياً على فارس في زمن الإمام علي عليه السلام فكاتبه معاوية في محاولات في استمالته إلى جانبه فختم أحد كتبه بهذا البيت١٦ / ١٨١ :

تنسى أباك وقد شالت نعامته ... إذ يخطب الناس والوالي لهم عمرُ

وختم كتاباً آخر بهذا البيت١٦ / ١٨٥ :

كتاركةٍ بيضها في العراء ... وملحفةٍ بيض أُخرى جناحا

وقد أجابه زياد بكتابٍ لام فيه معاوية وختمه بهذه الأبيات١٦ / ١٨٦ :

إذا معشري لم ينصفوني وجدتُني ... أُدافع عني الضيم ما دمت باقيا

وكم معشرٌ أعيت قناتي عليهمُ ... فلاموا وألقوني لدى العزم ماضيا

وهمٍّ به ضاقت صدورٌ فرجتها ... وكنت بطبِّي للرجال مداويا

أدافع بالحلم الجهول مكيدةً ... وأخفي له تحت العضاة الدواهيا

فإن شدت مني أدنُ منك وإن تبن ... تجدني إذا لم تدنُ منِّيَ نائيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخطِّ يده ما وثق به، فدخل فقرَّبه وأدناه، وأقرَّه على ولايته ثم استعمله على العراق].

وبروايةٍ أخرى تقول:

[إن زياداً مرَّ - وهو والي البصرة - بأبي العريان العدوي - وكان شيخاً مكفوفاً ذا لسن وعارضة شديدة - ولما تساءل عن هذه الجلبة قيل له أنه زياد بن أبي سفيان فأنكر أن يكون لأبي سفيان ولد اسمه زياد، فأنفذ إليه زياد مئتي دينار فسكت ولما مرَّ زياد في الغد في موكبه فوقَّف عليه فسلَّم بكى أبو عريان فقيل له: ما يُبكيك؟ قال عرفت صوت ابن أبي سفيان في صوت زياد، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى أبي العريان١٦ / ١٨٨:

ما ألبثتك الدنانير التي بُعِثت ... أن لوَّنتك أبا العريان ألوانا

أمسى إليك زيادٌ في أُرومته ... نكرٌ فأصبح ما أنكرت عرفانا

لله درُّ زيادٍ لو تعجَّلها ... كانت له دون ما يخشاه قربانا

فلما قُرِئ كتاب معاوية عل بن عريان قال اكتب جوابه يا غلام:

أحدث لنا صلةً تحيي النفوس بها ... قد كدت يا ابن أبي سفيان تنسانا

أما زيادٌ فقد صحَّت مناسبهُ ... عندي فلا أبتغي في الحقِّ بهتانا

من يُسدِ خيراً يُصبهُ حين يفعلهُ ... أو يُسدِ شرَّاً يُصبهُ حيثما كانا]

وبروايةٍ أُخرى تقول:

[دخل بنو أُمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية أيام استلحاق زياد، فقال له عبد الرحمن:

- لو لم تجد إلاَّ الزنج لاستكثرت بهم علينا قلَّةً وذلَّة - يعني على بني أبي

العاص -.

فأقبل معاوية على مروان فقال:

- أخرج عنَّا هذا الخليع.

فقال مروان:

- إي والله أنه خليع ما يُطاق.

فقال معاوية:

- والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق. ألم يبلغني شعره فيَّ وفي زياد؟

ثم قال مروان:

- أسمعنيه.

فأنشده١٦ / ١٨٩ - ١٩٠:

ألا أبلغ معاوية ابن حربٍ ... فقد ضاقت - بما يأتي - اليدانِ

أتغضب أن يُقال أبوك عفٌّ ... وترضى أن يُقال أبوك زانِ؟؟

فاشهد أن رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيل من ولد الأتانِ

واشهد أنها حملت زياداً ... وصخرٌ من سميَّة غير دانِ

ثم قال: والله لا ارضى عنه حتى يأتي زياداً فيترضَّاه ويعتذر إليه، فجاء عبد الرحمن إلى زياد معتذراً وبعد تمنُّعٍ رضي زياد، فأنشد عبد الرحمن١٦ / ١٩٠ - ١٩١:

إليـك أبـا المغـيرة تبـت ممـا ... جرى بالشام من خطل اللسانِ
وأغضـبت الخليفـة فيـك حتـى ... دعـاه فـرط غـيضٍ أن همـاني
فقلـت لمـن لحـاني في اعتـذاري ... إليك اذهب فشأنك غير شاني
عرفت الحقَّ بعـد ضـلال رأيـي ... وبعـد الغـي مـن زيـغ الجنـانِ
أراك أخـا وعمَّـاً وابـن عـمٍّ ... فمـا أدري بعيـبٍ مـا ترانـي
وأن زيـادةً في آل حـربٍ ... فقـد ظفـرت بمـا تـأتي اليـدانِ

وقال يزيد بن مفرِّغ الحميري في هجائه عبيد الله وعبَّاد، ابني زياد١٦ / ١٩١ - ١٩٢:

أأعبَّـاد مـا للـؤم منـك تـوُّلٌ ... ولا لـك أُمٌّ مـن قـريشٍ ولا أبُ
وقـل لعبيـد اللّه مـا لـك والـدٌ ... بحقٍّ ولا يدري امرؤٌ كيف تُنسب

وقال:

شـهدت بـأن أُمَّـك لم تباشـر ... أبـا سـفيان واضـعة القنـاعِ
ولكـن كـان أمـرٌ فيـك لـبسٌ ... علـى حـذرٍ شـديدٍ وارتيـاعِ
إذا أودى معـاوية ابـن حـربٍ ... فبـشِّر شِـعب قعبـك بالصـداع

وقال:

أنَّ زيـاداً ونافعـاً وأبـا ... بكرة عندي من أعجب العجب
هـم رجـالٌ ثلاثـةٌ خُلِقـوا ... في رحـم أُنثـى وكلُّهـم لأبِ
ذا قـرشيٌّ كمـا تقـول وذا ... مـولىً وهـذا بزعمـه عـربي

وقال - وكان عبيد الله بن زياد يقول عنه؛ ما شجيت بشيءٍ أشد عليَّ من قول ابن المفرِّغ - :

فكِّر ففي ذاك إن فكَّرت مُعتبرٌ ... هل نلت مكرمةً إلاَّ بتأميرِ

عاشت سُميَّة ما عاشت وما علمت ... أن ابنها في قريش في الجماهيرِ

وقال - وقد باع بُرد غلامه لما حبسه عبَّاد بن زياد بسجستان - :

يا بُردُ ما مسَّنا دهرٌ أضرَّ بنا ... من قبلُ هذا ولا بعنا له ولدا

لامتنيَ النفس في بُردٍ فقلت لها ... لا تهلكي إثرَ بُردٍ هكذا كمدا

لولا الدعيُّ ولولا ما تعرَّض بي ... من الحوادث ما فارقتهُ أبدا

وقال:

أبلغ لديك بني قحطان مهلكةً ... عضَّت بأير أبيها سادة اليمن

أضحى دعيُّ زيادٍ فقع قرقرةٍ ... يا للعجائب يلهو بابن ذي يزنِ]

وبروايةٍ أُخرى تقول:

[إن عبَّاداً استلحقه زياد، كما استلحق معاوية زياداً؛ إذ لما أذن لزيادٍ في الحجِّ تجهَّز، فتقدَّم عبَّاد - وكان خرَّازاً - فصار يعرض عليه ويحاوره ويجيبه فقال زياد:

- ويحك من أنت؟

قال:

- أنا ابنك..!

قال:

- ويحك، وأيُّ بنيَّ؟

قال:

- قد وقعت على أمي فلانة وكانت من بني كذا، فولدتني، وكنت في بني قيس بن ثعلبة وأنا مملوكٌ لهم.

فقال:

- صدقت.

فبعث فاشتراه، وادَّعاه وألحقه، وعظم أمر عبَّاد حتى ولاَّه معاوية سجستان بعد موت زياد، فتزوَّج عبَّاد الستيرة ابنة أنيف بن زياد الكلبي، فقال الشاعر يُخاطب أنيفاً - وكان سيِّد كلب في زمانه١٦ / ١٩٣:

أبلغ لديك أبا تركان مألكةً ... أنائما كنت أم بالسمع في صممِ

أنكحتَ عبدَ بني قيسٍ مُهذَّبةً ... آباؤها من عليمٍ، معدن الكرمِ

أكنت تجهل عبَّاداً ومحتدهُ؟ ... لا درَّ درُّك؟ أم أنكحت من عدمِ

أبعد آل أبي سفيان تجعله ... صهراً، وبعد بني مروان والحكم؟

أعظم عليك بذا عاراً ومنقصةً ... ما دمت حيَّاً وبعد الموت في الرحمِ]

وبروايةٍ أخرى تقول:

[كان سعيد بن سرح شيعةً لعلي عليه السلام فلما قدم زياد إلى الكوفة طلبه وأخافه فاستجار بالحسن عليه السلام فوثب زياد عليه وعلى أخيه وولده

وامرأته فحبسهم وأخذ ماله ونقض داره فكاتبه الحسن عليه السلام وردَّ عليه زياد يُعنِّفه وينتقص منه فبث الحسن كتاباً إلى معاوية ومعه كتاب زياد إليه فكتب معاوية إلى زياد كتاباً يأمره فيه أن يرد حق سعيد بن سرح وان يعرف منزلة الحسن من الإسلام، وذيَّل كتابه شعراً من جملته١٦ / ١٩٥:

أما حسنٌ فابن الذي كان قبله إذا سار، سار الموت حيث يسيرُ
وهل يلد الرئبال إلاَّ نظيره وذا حسنٌ شبهٌ له ونظيرُ
ولكنَّه لو يوزن الحلم والحجا بأمر لقالوا يذبلٌ وثبيرُ

فأطلقهم وردَّ مالهم].

وبما روى الزبير بن بكار في (الموفقيات) أن عبد الملك أجرى خيلاً، فسبقه عبَّاد بن زياد فأنشد عبد الملك١٦ / ١٩٦:

سبَّق عبَّادٌ وصلَّت لحيته وكان خرَّازاً تجور قريته

فاطمة الزهراء عليها السلام:

ولقوله عليه السلام:

«بل كانت في أيدينا فدك وكلما أضلَّته السماء فشحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مضانها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد فسحتها، وأوسعت يدا حافرها لاحتفضها الحجر والمدر، وسدَّ فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسٌ أروضها بالتقوى لتأتيَ آمنةً يوم الخوف الأكبر وتثبت على

جوانب المزلق».

استشهد ابن أبي الحديد بقول مهيار بن مرزويه الشاعر في قصيدة قالها في موقف أبي بكرٍ وعمر من فاطمة عليها السلام ١٦ / ٢٠٨و٢٣٥ - ٢٣٦:

يا ابنة القوم تراكِ ... بالغٌ قتلي رضاكِ

يا ابنة الطاهر لم تقـ ... ـرعِ بالظلم عصاكِ

غضب الله لخطبٍ ... ليلة الطف عراكِ

ورعى النار غداً قطّ ... رعى أمس حماك

مرَّ لم يعطفه شكوى ... [لا]ولا استحيا بكاكِ

واقتدى الناس به بعـ ... ـدُ فأردى والداكِ

يا ابنة الراقي إلى السد ... رة في لوح السكاكِ

لهف نفسي وعلى مثـ ... ـلكِ فلتبكِ البواكي

كيف لم تُقطع يدٌ مدَّ ... إليك ابن ضحاكِ

فرحوا يوم أهانو ... كِ بما ساء أباكِ

ولقد أخبرهم أنَّ ... رضاه من رضاكِ

دفعا النص على أر ... ثك لما دفعاكِ

وتعرَّضتِ لقدْرٍ ... تافهٍ وانتهراكِ

وادَّعيتِ النحلة المشـ ... ـهود فيها بالصكاكِ

فاستشاطا ثم ما إن ... كذِبا أن كذَّباكِ

ونفى عن بابه الوا ... سع شيطاناً نفاكِ

وبقول فاطمة الزهراء عليها السلام بعد خطبتها إلى أبي بكر١٦ / ٢٥١:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة ... لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطبُ

إذا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تطب

فليت بعدك ظلُّ الموت صادفنا ... لما قضيت وحالت دونك الكتبُ

ضاقت عليَّ بلادي بعدما رحبت ... وسيم سبطاك خسفاً فيه لم تُصبِ

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... قومٌ تمنَّوا فأُعطوا كلما طلبوا

تجهَّمتنا رجالٌ واسْتُخِفَّ بنا ... مذ غبتَ عنَّا وكلَّ الإرث قد عصبوا

استِقْراءُ المستقْبَل

ولقوله عليه السلام:

«ولكنني آسي أن يلي هذه الأُمة سفهاؤها وفجَّارها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خَوَلاً، والصالحين حرباً، فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجُلِد حدَّاً في الإسلام، وإن منهم من لم يُسْلم حتى رُضخت له على الإسلام الرضائخ».

فاستشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول١٧ / ٢٢٥و٢٤٠ - ٢٤١:

[إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما انصرف عن غزوة بني المصطلق نزل رجلٌ من المسلمين فساق بالقوم ورجز، ثم آخر فساق بهم ورجز، ثم بدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يواسي أصحابه فنزل فساق بهم ورجز، وجعل يقول - فيما يقول - :

جُندبٌ وما جندبُ وإلاَّ قطع زيدٌ الخير

فدنا منه أصحابه وقالوا:

- يا رسول الله قلت قولاً لا ندري ما هو؟

قال:

- وما ذاك؟

قالوا:

- كنت تقول:

جُندبٌ وما جُندبُ وإلاَّ قطع زيدٌ الخير

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«رجلان يكونان في هذه الأُمَّة يضرب أحدهما ضربةً يفرق بين الحق والباطل، وتُقطع يدا آخر في سبيل الله، ثم يتبع الله آخر جسده بأوله».

وكان زيد هو زيد بن صوهان، وقُطِعت يده في سبيل الله يوم جلولاء، وقُتِل يوم الجمل، مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما جندب هذا فدخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحر يقال له أبو شيبان، يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطونهم ثم يردُّها، فجاء من خلفه فضربه فقتله، وقال١٧ / ٢٤٠ - ٢٤١:

إلعـــن وليـــداً وأبـــا شـــيبان

وابـن حبـيشٍ راكـب الشـيطان

رســـول فـــرعون إلى هامـــان

*وقيل إن عبد الله بن الزبير أُتيَ به رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم فنظر في وجهه وقال: «هو هو؟ ليمنعنَّ البيت أو ليموتنَّ دونه».

وقال العقيلي في ذلك٢٠ / ١٠٨:

بـــرٌّ تبـــيَّن مـــا قـــال الرســـول لـــه وذو صـــلاةٍ يُضـــاهي وجهـــه علـــمُ

حمامـةٌ مـن حمـام البيـت قاطنـةٌ لا تتبـع النـاس إن جـاروا وإن ظلمـوا

الشيب والخضاب

سُئل عليه السلام عن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«غيِّروا الشيب ولا تَشبَّهوا باليهود».

فقال عليه السلام:

«إنما قال صلى الله عليه وآله وسلم والدين قُلٌّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤٌ وما اختار».

ولهذا الكلام قال أنس بن مالك وهو يُخضِّب١٨ / ١٢٢ - ١٢٤:

نُســوِّد أعلاهــا وتــأبى أُصولهــا ولــيس إلى ردِّ الشــباب ســبيل

وتقول رواية أُخرى: إن عبد المطلب وفد على سيف بن ذي يزن فقال له:

- لو خضَّبت!

فلما عاد إلى مكة خضَّب، فقالت له امرأته - نثيلة أُم العباس وضرار:

- ما أحسن هذا الخضاب لو دام.

فقال١٨ / ١٢٤:

فلو دام لي هذا الخضاب حمدته ... وكان بديلاً من خليلٍ قد انصرمْ

تمتَّعت منه والحياة قصيرةٌ ... ولابدَّ من موتٍ - نثيلة - أو هرم

وموت جهيزٍ عاجلٍ لا شوى له ... أحبُّ إلينا من مقالكمُ حكم

(يعني أنه صار شيخاً، فصار حكماً بين الناس، من قوله:

لا تغبط المرء أن يقال له ... أضحى فلانٌ لسنِّهِ حكما

وروي أن اسماعيل بن خارجة قال لجاريته:

- أخضبيني.

فقالت:

- حتى متى أُرقِّعك؟

فقال١٨ / ١٢٥؛

غيَّرتِني خَلِقاً أبليت جِدَّتُه ... وهل رأيتِ جديداً لم يعُد خلِقا؟

وقال محمود الورَّاق١٨ / ١٢٥:

يا خاضب الشيب الذي ... في كلِّ ثالثةٍ يعودُ

إن الخضاب إذا مضى ... فكأنه شيبٌ جديدُ

فدع المشيب وما يُريدُ ... فلن تعود كما تريدُ

وقال الشاعر١٨ / ١٢٥:

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم صبغي ودامت صبغة الأيامِ

وقال آخر١٨ / ١٢٧:

يا أيها الرجل المُغيِّرُ شيبهُ كيما تُعَدُّ له من الشبَّان

أقصر فلو سوَّدت كلَّ حمامةٍ بيضاء ما عُدَّت من الغربانِ

وقال البحتري١٨ / ١٢٥ - ١٢٦:

لا بسٌ من شيبه أم ناضِ وملـيحٌ من شيبةٍ أم راضِ

وإذا ما امتعضت من ولع الشيـ ـب برأسٍ لم يُثنِ ذا امتعاضِ

ليس يرضى عن الزمان امرؤٌ فيـ ـه إلاَّ عن غفلةٍ أو تغاض

والبواقي من الليالي وإن خا لفن شيئاً شبيهةً بالمواضي

وأبت تركيَ الغدييات والآ صال حتى خضبت بالمقراضِ

طال حزني على الشباب وما بيض من لون صبغة الفضفاض

فهل الحادثات بين عويفٍ تاركاتي ولبس هذا البياضِ

ولقوله عليه السلام، عندما قيل له: لو غيَّرت شيبك يا أمير المؤمنين: «الخضاب زينة في مصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

استشهد أبن أبي الحديد بقول الصابي٢٠ / ٢٣٠:

خضـابٌ تقسـمناه بـيني وبينهـا ولكنَّ شـأني خـالفٌ فيـه شـأنها
فيـا قبحـه إن حـل مـني بمفرقـي ويـا حسـنه إن حـلَّ منهـا بنانهـا
وسحقاً له من لِمَّتي حين شانهـا وأهـلاً بـه في كفِّهـا حـين زانهـا

وبقول أبي تمام٢٠ / ٢٣٠ - ٢٣١:

لعـب الشـيب بالمفـارق بـل جـدَّ فـــأبكى تماضـــراً ولعوبـــا
خضَّـبت خـدَّها إلى لؤلـؤ الـ ـعقد إن رأت شـواتي خضـيبا
كـلُّ داءٍ يُرجـى الـدواء لـه إلاَّ الفضـــيعين ميتـــةً ومشـــيبا
يـا نسـيب الثغـام ذنبـك أبقـى حسـناتي عنـد الحسـان ذنوبـا
ولـئن عِـين مـا رأيـن وقـد أنـ ـكرنَ مسـتنكَراً وعِـين معيبـا

وبقوله أيضاً٢٠ / ٢٣١:

فـإن يكـن المشـيب طغـى علينـا وأودى بالبشاشـــة والشـــبابِ
فـــإني لســـت أدفعـــه بشـــيءٍ يكـون عليـه أثقـل مـن خضـابِ
أردت بـــأن ذاك وذا عـــذابٌ فسـلَّطنُ العـذاب علـى العـذابِ

وبقوله أيضاً٢٠ / ٢٣١:

نسـج المشـيب لـه لفاعـاً منـدفاً يققـاً فقنَّـع مذرويـه ونصَّـفا
نظـر الزمـان إليـه قطَّـع دونـه نظـر الشـقيق تحسُّـراً وتلـهُّفا
ما اسودَّ حتى ابيضَّ كالكرم الذي لم يبـدُ حتـى جـيءَ كيمـا يُقطفـا
لمـا تفوَّقـت الخطـوب سـوادها ببياضـها عبثـت بـه فتفوَّقـا

ما كان يخطر قبل ذا في فكرهِ للبدر قبل تمامه أن يكسفا

وبقوله أيضاً ٢٠ / ٢٣٠ - ٢٣١:

غدا الهمُّ مختطَّاً بفوديَّ خطَّةً طريق الردى منها إلى الموت مهيعُ
هو الزَور يخفي والمعاشر يحتوي وذو الألف يُقلى، والجديد يُرَقَّعُ
له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ولكنَّه في القلب أسود أسفعُ
ونحن نُرجِّيهِ على الكره والرضا وأنف الفتى من وجههِ وهو أجدع

وقوله أيضاً ٢٠ / ٢٣٢:

شعلةٌ في المفارق استودعتني في صميم الأحشاء ثكلاً صميما
تستثير الهموم ما اكتنَّ منها صُعَداً وهي تستثير الهموما
غُرَّةٌ مُرَّةٌ ألا إنَّما كنـ ـتُ أغرَّ أيام كنتُ بهيما
دقَّةٌ في الحياة تُدعى جلالاً مثلما سُمِّيَ اللديغ سليما
حلَّمتني زعمتُمُ وأراني قبل هذا التحليم كنتُ حليما

وقول ابن الرومي ٢٠ / ٢٣١:

لم أُخضِّب الشيب للغواني أبغي به عندهم ودادا؟
لكن خضابي على شبابٍ لبستُ من بعدهِ حدادا

وقول البحتري ٢٠ / ٢٣٢:

بـان الشـباب فـلا عـينٌ ولا أثـرٌ إلاَّ بقيَّـة بُـردٍ منـه أسمـالِ
قد كدتُ أُخرجهُ عن منتهى عددي يأساً وأُسقطهُ إذ فات من بالي
سـوء العواقـب يـأسٌ قبلـهُ أمـلٌ وأعضل الداء نكسٌ بعد إبلالِ
والـمرءُ طاعـةُ أيـامٍ تُنقِّلـهُ تنقُّلَ الظلِّ من حالٍ إلى حالِ

وقول الصابي يذكر الخضاب٢٠ / ٢٣٢ :

خضَّـبتُ شـيبي للتعلُّـق بالصـبا وأوهمتُ من أهواه أنِّي لم أشِبْ
فلمـا ادعـى مـني الشـباب شـبيبةً إذا صَلَعي قد صاح من فوقه كذِبْ
فكـم طـرَّةٍ طـارت ودانـت ذوائـبٌ وكم وجنة حالت وماءٌ بها نضب
شـواهد بـالتزوير يحـوين ريَّهـا فهجرانـهُ عنـد الأحبَّـة قـد وجـبْ

الأجوبة المسكتة

ولقوله عليه السلام:

«من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول:

[لما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند أقضى إلى أثاث لم تُرَ مثله وإلى آلات لم يُرَ مثلها، فأراد أن يُري الناس عظيم ما أنعم الله عليه، ويُعرِّفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم، فأمر بدارٍ ففُرِشت وفي صحنها قدورٌ يُرتقى إليها بالسلالم، فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم، والحُضين شيخٌ كبير، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قُتيبة:

- إإذن لي في معاتبته:

قال:

- لا تردَّه لأنه خبيث الجواب.

فأبى عبد الله إلاَّ أن يأذن له، فقال١٨ / ١٥٢ - ١٥٣:

يا أبا ساسان، أتعرف الذي يقول:

عُزِلنا وأُمِّرنا وبكر بن وائلٍ تجرُّ حضاها تبتغي من تُحالفُهْ

قال:

أجل، وأعرف الذي يقول:

بأدنى العزم قاد بنو قُشَيْرٍ ومن كانت له أسرى كلابِ

وخيبة من يخيب على غنيٍّ وباهلة بن يعصر والطلابِ

قال:

- أفتعرف الذي يقول؟

كأن فقاع الأزد حول ابن مسمع إذا عرفت أفواه بكر بن وائلِ

قال:

- نعم أعرفه وأعرف الذي يقول:

قومٌ قتيبةُ أُمُّهم وأبوهم لولا قُتيبة أصبحوا في مجهلِ

قال:

- أما الشعر فأرك ترويه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟

قال:

- أقرأ منه الأكثر الأطيب: «هلْ أتى على الإنْسانِ حِينٌ من الدهْرِ لم يَكُن شيئاً مذكورا».

فأغضبه فقال:

- والله بلغني أن امرأة الحضين حُملت إليه، وهي حبلى من غيره.

فما تحرَّك الشيخ عن هيأته الأُولى ثم قال على رسله:

- فما يكون: تلد غلاماً على فراشي، فيُقال: فلان بن الحضين كما يُقال: عبد الله بن مسلم، فأقبل قتيبة على عبد الله وقال:

- لا يُبعد الله غيرك!

المسك

ولقوله عليه السلام:

«نِعْمَ الطِيب المسك؛ خفيفٌ حمله، عَطِرٌ رِيحُه».

استشهد ابن أبي الحديد بما أنشد المتوكِّل، وهو يُناول أحمد بن فنن فأرة مسك ١٩ / ٣٤٢:

لئن كان هذا طيبنا وهو طيِّبٌ لقد طيَّبته من يديك الأنامِلُ

وبروايةٍ تقول ١٩ / ٣٤٢ - ٣٤٣:

[شمَّ مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري من أُخته هند بنت أسماء ريحاً غالية، وكانت تحت الحجاج، فقال:

- علِّميني طِيبك.

قالت:

لا افعل، أتريد أن تُعلِّمه جواريك؟ هو لك عندي ما أردته. ثم ضحكت وقالت:

والله ما تعلَّمته إلاَّ من شعرك حيث تقول:

أطيب الطِيب طِيب أُمِّ أبانٍ ... فأر مسكِ بعنبرٍ مسحوقِ

خلطتهُ بعودها وببانٍ ... فهو أحوى على اليدين شريقِ]

وبما قيل:

[إن عمر بن عبد العزيز - في إمارته على المدينة - يجعل المسك بين قدميه ونعله، فقال فيه الشاعر يمدحه١٩ / ٣٤٣:

له نَعَلٌ لا يطبيَ الكلب ريحها ... وإن وضِعت في مجلس القوم شُمَّتِ]

وبروايةٍ أُخرى تقول١٩ / ٣٤٤: [سمع عمر قول عبد بني الحسحاس:

وهبَّت شمالٌ آخر الليل قرَّةٌ ... ولا ثوب إلاَّ درعها وردائيا

فما زال بُردي طيِّبا من ثيابها ... مدى الحول حتى نهَّج البرد باليا

فقال له:

- ويحك، إنك مقتول.

فلم تمضِ عليه أيام حتى قُتِل]

وبروايةٍ أُخرى تقول١٩ / ٣٤٤ - ٣٤٥:

[عرضت مدنية لكُثَيِّر، فقالت: أنت القائل؟

فما روضةٌ بالحزن طيَّبة الثرى يمجُّ الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزَّة موهناً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

لو كانت هذه الصفة لزنجية تجتلي الحلَّ لطابت، هلاَّ قلت كما قال سيِّدك امرؤ القيس:

ألم تـرياني كلما جئت طارقاً وجدتُ لها طِيباً وإن لم تُطَيَّبِ]

واستشهد بقول شاعر١٩ / ٣٤٧:

والمسك بينا تراه ممتهناً بفهر عطَّاره وساحقهِ

حتى تراه في عارضي ملكٍ أو موضع التاج من مفارقهِ

وبقول الصنوبري في استهداء المسك١٩ / ٣٤٧:

المسك أشبه شيءٍ بالشباب فهب بعض الشباب لبعض العصبة الشيبِ

و:

كأن دخان الندِّ ما بين جمره بقايا ضبابٍ في رياض شقيقِ

وقول أبي العباس الأعمى١٩ / ٣٤٨:

ليت شعري من أين رائحة المسـ ـك وما أن أخال بالخيف أُنس

حيث غابت بنو أُميَّة عنه والبهاليل من بني عبد شمسِ

خطباءٌ على المنابر فُرسا نُ قالةٍ غير خُرَّسِ

بحلومٍ مثل الجبالِ رزانٍ ووجوهٍ مثل الدنانير ملسِ

وقول المسيَّب بن عَلَس١٩ / ٣٤٨ - ٣٤٩:

تبيت الملوك على عتبها وشيبان إن غضبت تعتبُ
وكالشهد بالراح ألفاظهم وأخلاقهم منهما أعذبُ
وكالمسك تُرّبُ مقاماتهم وشربُ قبورهمُ أطيبُ

وقول العباس بن الأحنف١٩ / ٣٤٩:

وأنت إذا ما وطئت التراب كأنَّ ترابك للناس طيبُ

وقول أحد الشعراء وهو يهجو العمال في أيام عمر١٩ / ٣٤٩:

نؤوبُ إذا آبوا ونغزو إذا غزوا فأنَّى لهم وفرٌ ولسنا ذوي وفرِ
إذا التاجر الداري جاء بفارةٍ من المسك راحت في مفارقهم تجري

وقول الشاعر في فأرة الإبل١٩ / ٣٥٠:

كأنَّ فأرة مسكٍ في مباءتها إذا بدا من ضياء الصبح تنتشرُ

وقول عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري١٩ / ٣٥٠:

لو كنت أحمل خمراً حين زرتكمُ لم ينكر الكلب إني صاحب الدارِ
لكن أتيت وريح المسك يقدمني والعنبر الورد مشبوباً على النارِ
فأنكر الكلب ريحي حين خالطني وكان يألف ريح الزقِّ والفارِ

وقول سلمة بن عيَّاش لجعفر بن سليمان١٩ / ٣٥١:

فما شمَّ أنفي ريح كفٍّ رأيتها من الناس إلاَّ ريح كفّك أطيبُ

عبد الله بن الزبير

ولقوله عليه السلام:

«ما زال الزبير رجلاً منَّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله».

استشهد ابن أبي الحديد بالرواية التي تقول٢٠ / ١٠٢:

[... بويع لعبد الله بن الزبير في سنة أربعٍ وستين في قول وخمسٍ وستين في قولٍ ثانٍ، ولما كان اليوم الذي قُتِل فيه دخلت على أُمه في المسجد فحثَّته على أن لا يقبل الذل مخافة القتل.

فخرج ونصب له مصراع عند الكعبة، فأتاه رجل من قريش فقال له:

- والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم عن آخركم، وهل حرمة البيت كحرمة الحرم؟ ثم أنشد٢٠ / ١٠٥:

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبَّةٍ ولا مرتقٍ من خشيةِ اللهِ سُلَّما

ثم شد عليه أصحاب الحجاج، فحمل عليهم فصار يضربهم بسيفين حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول٢٠ / ١٠٥:

لو كان قرني واحدٌ أرديتُه أوردتُه الموت وقد أذكيتُه

ثم عاد فحمل عليهم فأخرجهم من المسجد بعد دخوله ثم انصرف وهو يقول٢٠ / ١٠٥:

ولسنا على الأعقاب تُدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطر الدِما

وحماه مولیان له، فكان أحدهما يقول٢٠ / ١٠٦:

العبد يحمي ربَّه ويحتمي

وكان أهل الشام وهم يُقاتلون عبد الله في مكة يصيحون:

يا ابن ذات النطاقين.

يضنُّونه عيباً فقال لهم:

إني وإياكم لكما قال أبو ذؤيب:

وعيَّرني الواشون أني أُحبها وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

فإن أعتذر عنها فإني مكذِّبٌ وإن تعتذر يُردَ عليك اعتذارها

وزعموا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أُتي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر في وجهه وقال:

- هو هو لمنعني البيت وليموتنَّ دونه.

وقال العقيلي في ذلك، وقد نقلناه في فقرة التوقُّعات المستقبلية ٢٠ / ١٠٨:

برٌّ تبيَّن ما قال الرسول له وذو صلاةٍ يُضاهي وجهه علمُ

حمامةٌ من حمام البيت قاطنةٌ لا تتبع الناس إن جاروا وإن ظلموا

وخطب الحجاج بعد قتله زجلة بنت منظور بن زيَّان بن سيَّار الفزارية، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير، فقلعت ثنيتها وردَّته وقالت:

- ماذا يُريد إلى ذلقاء ثكلى حرَّى.

وقالت٢٠ / ١٠٩:

أبعد عائذ بيت الله تخطبني جهلاً جهلت وغبٌّ الجهل مذمومُ

فاذهب إليك فإني غير ناكحةٍ بعد ابن أسماء ما استنَّ الدياميمُ

من يجعل العير مصفرًّا جحافله مثل الجواد وفضل الله مقسومُ]

* سمع معاوية رجلاً ينشد٢٠ / ١١١ :

ابن رقشٍ ماجدٌ سميدع يأبى فيعطي عن يدٍ ويمنعُ

فقال :

- ذلك عبد الله بن الزبير.]

* لما كان يوم الثلاثاء، صبيحة سبع عشرة من جمادي الأُولى سنة ثلاث وسبعين، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب، بات ابن الزبير يُصلي الليل، ثم تقلَّد سيفه فصلى الفجر، وبعدها خطب في قومه ثم قال :

أبى لابن سلمى أنه غير خالدٍ يُلاقي المنايا أيَّ وجهٍ تيمَّما

فلست بمبتاع الحياة بسبَّةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلَّما

* كان عبد الله بن الزبير شديد البخل، كان يُطعم جنده تمرا، ويأمرهم بالحرب، فإذا فرُّوا من وقع السيوف لاحقهم وقال لهم :

- أكلتم تمري وعصيتم أمري.

فقال أحدهم٢٠ / ١٢٣ :

ألم ترَ عبد الله - والله غالبٌ على أمره - يبغي الخلافة بالتمرِ

* خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فعرَّض ببني هاشم، فقال ابن عباس : يا ابن الزبير٢٠ / ١٣٠ :

قـــد أنصـــف الفـــارة مـــن رماهـــا
إنَّـــا إذا مـــا فئـــةً نلقاهـــا
نـــردُّ أُولاهـــا علـــى أُخراهـــا
حتـــى تصـــير حرضـــاً دعواهـــا

* خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال:

(يزيد القرود، يزيد الفهود، يزيد الخمور، يزيد الفجور، أما والله لقد بلغني أنه لا يزال مخموراً يخطب الناس وهو طافحٌ في سكره).

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فجهَّز جيش الحرَّة وهو عشرون ألف وقال٢٠ / ١٣٣ - ١٣٤:

أبلغ أبا بكرٍ إذا الجيش انبرى
وأخذ القوم على وادي القرى
عشرين ألفاً بين كهلٍ وفتى
أجمع سكرانٍ من القوم ترى
أم جمع ليثٍ دونه ليث الشرى

* لما خرج الحسين من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير وقال:

يالـــك مـــن قبَّـــرةٍ بمعـــبرِ خـلا لـكِ الجـوُّ فبيضـي واصـفري
هـذا الحسـين سـائرٌ فأبشـري ونقِّـري مـا شـئتِ أن تنقِّـري

*دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال:

- اسمع أبياتاً قلتها أُعاتبك فيها.

قال:

- هاتها.

فأنشد ٢٠ / ١٣٥:

لعمـــريَ مـــا أدري وأنـــي أُؤجِّـــلُ ... علـــى أينـــا تعـــدو المنيـــة أولُ

وأنـــي أخـــوك الـــدائم العهـــد لم أزل ... ان أعيـــاك خصـــمٌ أو نبـــا بـــك منـــزل

أُحـــارب مـــن حاربـــت مـــن ذي عـــداوةٍ ... وأُحـــبس يومـــاً إن حبســـت وأعقـــلُ

وإن يـــؤتني يومـــاً صـــفحت إلى غـــدٍ ... ليعقـــب يـــومٌ منـــك آخـــر مقبـــلُ

ســـتقطع في الـــدنيا إذا مـــا قطعـــتني ... يمينـــك فـــانظر أيَّ كـــفٍّ تُبـــدِّلُ

إذا أنـــت لم تنصـــف أخـــاك وجدتـــه ... علـــى طـــرف الهجـــران كـــان يُعقِّـــل

ويركـــب حـــدَّ الســـيف مـــن أن تُضـــيمه ... إذا لم يكـــن في شـــفرة الســـيف معـــدل

وكنـــتُ إذا مـــا صـــاحبٌ مـــلَّ صُـــحبتي ... وبـــدَّل شـــرَّاً بالـــذي كنـــت أفعـــلُ

قلبـــتُ لـــه ظهـــر المجـــنِّ ولم أقـــم ... علـــى الضـــيم إلاَّ ريثمـــا أتحـــوَّل

وفي النـــاس إن رثَّـــت حبالـــك واصـــلٌ ... وفي الأرض عـــن دار العـــلا متحـــوِّلُ

إذا انصـرفت نفسـي عـن الشـيء لم تكد ... إليـــه بوجـــهٍ آخـــر الـــدهر تقبـــلُ

فقال معاوية:

- لقد شعرت بعدي يا أبا خبيب.

وبينا هو كذلك دخل معن بن أوس المُزني فقال له معاوية:

- إيه! هل أحدثت بعدي شيئاً؟

قال:

- نعم.

قال:

قل:

فأنشد هذه الأبيات فعجب معاوية وقال لابن الزبير:

- ألم تنشدها لنفسك آنفاً؟

فقال:

- أنا سوَّيت المعاني وهو ألَّف الألفاظ ونظمها، وهو بعدُ طري [٦٩] فما قال من شيء فهو لي.

فقال معاوية:

- وكذباً يا أبا خبيب؟

فقام عبد الله وخرج.

أشعر الشعراء:

ولقوله عليه السلام، وقد سُئل عن أشعر الشعراء:

«إن القوس لم يجرِ في حلبةٍ تعرف الغاية عند قصبتها، فإن كان لابد فالملك الضلِّيل».

وهو عليه السلام يريد امرأ القيس.

استشهد ابن أبن أبي الحديد بالرواية التي تقول٢٠ / ١٥٣ - ١٥٤:

[كان عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام يُعشِّي الناس في شهر رمضان ولا يتعشَّى معهم، فإذا فرغوا خَطَبَهم عليه السلام وقال في خطبته:

«اعلموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، ونيَّتكم الأدب، ومصون أعراضكم الحلم...».

ثم قال عليه السلام:

قل، يا أبا الأسوَد، فيم كنتم تفيضون فيه؟ أي الشعراء أشعر؟

فقال:

- الذي يقول:

ولقد أغتدي يُدافع ركني ... أعوجيٌّ ذو ميعةٍ ضرِّيجُ

مُخلطٌ، مِزبلٌ، مِعنٌّ، مِفنٌّ ... منفحٌ، مطرحٌ، سيوحٌ، خروجُ

فقال عليه السلام:

- ليس به.

قالوا:

- من يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام:

«لو رُفِعت للقدم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن إن

يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا عن رهبة».

قيل:

- من هو يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام:

- هو الملك الضلِّيل ذو القروح.

قيل:

امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام:

- هو...

ويعني عليه السلام بالغاية (الراية)، قال الشاعر:

وإذا غـــاية مجـــدٍ رُفِعـــت نهـض الصـلتُ إليهـا فحواهـا

ويروى قول الشماخ:

إذا مـــا رايـــةٌ رُفِـــعت لمـــجدٍ تلـــقَّاها عـــرابة بالـــيمينِ

وهي لهجة قوم. والراء أكثر.

وقيل؛ شاعر الشعراء - في الجاهلية - زهير لقوله٢٠ / ١٥٦:

ومـا يـكُ مـن خـيرٍ أتـوه فإنمـا توارثهـا آبـاء آبـائهم قبـلُ

وهـل ينبـت الخطِّـيُّ إلاَّ وشـيجةً وتُغـرس إلاَّ ـفي منابتهـا النخـلُ

وقوله٢٠ / ١٥٧:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةٌ ... إلى المجد لم يسبق إليها يُسَوَّدِ
سبقت إليها كلَّ طلقٍ مُبرَّزٍ ... سبوقٌ إلى الغايات غيرُ مُزنَّدِ
كفعل جوادٍ يسبق الخيل عفوه الـ ... ـسراع وإن يجهدْ ويجهدن يبعدِ
فلو كان حمداً يخلد الناس لم تمت ... ولكنَّ حمد الناس ليس بمخلدِ

(إلاَّ أنه يتبع حوشيَّ الكلام ولا يُفاضل في منطقه، ولا يقول إلاَّ ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلاَّ بما فيه)

وقوله٢٠ / ١٥٨:

ومن يكُ ذا فضلٍ ويبخل بفضله ... على قومهِ يُستَغْنَ عنهُ فيُذمِمِ
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحهِ ... يُهدَّم، ومن لا يظلم الناس يظلمِ
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو نال أسباب السماء بسُلَّمِ
ومن يجعل المعروف من دون أهلهِ ... يُفِرّهُ، ومن لا يتَّقِ الشتم يُشتمِ

وقيل: النابغة. لقوله٢٠ / ١٥٩:

فإنَّك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وقوله٢٠ / ١٥٩:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي ... على خوفٍ تظنُّ بيَ الظنون

وقوله٢٠ / ١٥٩:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنِّي وليتَما ... لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ

بمستبِـقٍ أخـاً لا تلمَّـهُ خيانـةً على شعثٍ أيُّ الرجـال المهـذَّبُ

وقوله٢٠ / ١٦٠:

فإنـك كالليـل الـذي هـو مـدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسعُ

خطاطيف حجلٍ في حبالٍ متينة تُمـدُّ بهـا أيـدٍ إليـك نـوازعُ

وقوله يمدح النعمان بن المنذر٢٠ / ١٦٦:

كتمتـك لـيلاً بـالجحومين سـاهراً وهـيَّنَ همَّـاً مسـتكنّاً وظـاهرا

أحاديـث نفـسٍ تشـتكي مـا يُريبهـا وورد همـومٍ لا يجـدن مصـادرا

تُكلِّفـني أن يغفـل الـدهر همَّهـا وهل وجدت قبلي على الدهر ناصرا؟

ألم تـرَ خـير النـاس أصـبح نعشـه علـى فتيـةٍ قـد جـاور الحـيَّ سـائرا

ونحـن لديـهِ نسـأل اللّه خلـده يـردُّ لنـا ملكـاً ولـلأرض عـامرا

ونحـن نُرجِّـي الخـير إن فـار قـدحنا ونرهـب قـدح الـدهر إن جـاء قـامرا

لك الخير إن وارت بك الأرض واحداً وأصـبح حـبر النـاس بعـدك عـاثرا

وردَّت مطايـا الـراغبين وعُرِّيـت جيـادك لا يخفـى لهـا الـدهر حـافرا

رأيتـك ترعـاني بعـينٍ بصـيرةٍ وأبعثـت حُرَّاسـا علـيَّ ونـاظرا

وذلـك مـن قـولٍ أتـاك أقولـه ومـن دس أعـداءٌ لـديك المـآبرا

فـأهلي فـداءٌ لامـرئٍ إن أتيتـه تقبَّـل معـروفي وسـدَّ المفـاقرا

سـأربط كلـبي إن يُريبـك نبحـهُ وإن كنـت أرعـى مسـحلان وعـامرا

وحلَّـت بيـوتي في بقـاعٍ ممنَّـعٍ تخـال بـه راعـي الحمولـة طـائرا

تـزل الوعـول العصـم عـن قذفاتـه ويضـحى ذراه في السـحاب كـوافرا

حـــذاراً علـــى أن لا تنـــال مقـــادتي ... ولا نســـوتي حتـــى يمـــتن حرائـــرا
أقـول وقـد شـطَّت بـيَ الـدار عـنكمُ ... إذا مـــا لقيـــت مـــن معـــدٍّ مســـافرا
ألا أبلـــغ النعمـــان حيـــث لقيتـــهُ ... فأهـــدى لـــه اللّه الغيـــوث البـــواكرا
وربَّ عليـــــــــه اللّه أحســـــــــن ... وكان على كلِّ المعادين ناصـــــــــرا
صنعـــــــــهُ

وقوله٢٠ / ١٦٢:

هـــذا غـــلامٌ حســـنٌ وجهـــهُ ... مســتقبل الخـير سـريع التمـامْ
للحـارث الأكـبر والحـارث الـ ... أصـغر فـالأعرج خـير الأنـام
ثـــم لعمـــرٍ ولعمـــرٍ وقـــد ... أسـرع في الخـيرات منـه إمـام
خمـسة آبـــاءٍ هـــمُ مـــا هـــمُ ... أفضل من يشرب صوب الغمام

وقيل القطامي، لقوله٢٠ / ١٦٤:

إنَّـا محبُّـوك فاسـلم أيهـا الطلـلُ ... وإن بليـت وإن طالـت بـك الطِيَـلُ
لـيس الجديـد بـه تبقـى بشاشـته ... إلاَّ قلـــيلاً ولا ذو قلَّـــةٍ يصـــلُ
والعـيش لا عـيش إلاَّ مـا تَقُـرُّ بـه ... عـينٌ ولا حـال إلاَّ سـوف تنتقـلُ
إن ترجعي من أبي عثمان منجمةً ... فقـد يهـون علـى المسـتنجح العمـلُ
والنـاس مـن يلـقَ خـيراً قـائلون لـه ... مـا يشـتهي ولأُم المخطـئ الهبـلُ
قـد يـدرك المتـأني بعـض حاجتـهِ ... وقـد يكـون مـع المسـتعجل الزلـلُ

وقوله٢٠ / ١٦٤:

طرقت جنوب رحالنا من مطرقِ ماكنت أحسبها قريب المُعْنَقِ

وقيل الخنساء لقولها٢٠ / ١٦٥:

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركهُ: يا لهف نفسي على صخرِ

ألا هبلت أُم الذي غدروا بهِ إلى القبر، ماذا يحملنَّ إلى القبرِ

وقيل ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلي لقولها٢٠ / ١٦٥:

مهفهفٌ أهضم الكشحين منحرقٌ عنه القميص يسير الليل محتقِرا

لا يأمن الدهر ممساه ومصبحهُ من كلِّ أوبٍ وإن لم يغزُ منتظرا

وقيل امرؤ القيس لقوله: ٢٠ / ١٦٨:

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقابُ

وقوله٢٠ / ١٦٩:

أغرَّكِ مني أنَّ حبَّكِ قاتلي وإنَّكِ مهما تأمري القلب يفعلِ

وقيل: الذي يقول٢٠ / ١٦٩:

ويبرد برد رداء العروسِ بالصيف رقرق فيه العبيرا

ويسخن ليلة لا يستطيع نباحا به الكلب إلاَّ هريرا

ولقوله عليه السلام ٢٠ / ٢٣٤:

«ما المجاهد في سبيل الله بأعظم ممن قدِر فعفَّ لكاد العفيف أن يكون مَلَكاً من الملائكة».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر٢٠ / ٢٣٤:

إن أكـن طـامح اللـحاظ فـإنِّي - والـذي يملك القلوب - عفيفُ

وقول الآخر٢٠ / ٢٣٤:

وإنـي لعـفٌّ مـن فكاهـة جـارتي وإنـي لمشـنوءٌ إلـيَّ إغتيابهـا

أذا غـاب عنهـا بعلها لم أكن لهـا صـديقاً ولم تـأنس إلـيَّ طلابهـا

ولم أكُ طلاَّبـاً أُحـادث سـرَّها ولا عالمـاً مـن أيِّ حـوكٍ ثيابهـا

وقول جميل بثينة٢٠ / ٢٣٤:

لا والـذي تسـجد الجبـاه لـه مـالي بمـا ضـمَّ ثوبهـا خـبرُ

ولا بفيهـا ولا هممـت بـه مـا كـان إلاَّ الحـديث والنظـرُ

وقول الشاعر٢٠ / ٢٣٥:

قالـت وقلـت ترفَّقـي فصـلي حبـل امـرئٍ بوصـالكم حبِّـي

صـادق إذن بعلـي فقلـت لهـا الغـدر شـيءٌ لـيس مـن شـعبي

ثنتـان لا أصـبو لوصـلهما عـرس الصـديق وجـارة الجنـبِ

أمـا الصـديق فلسـت خائنـه والجـار أوصـاني بـه ربـي

وبالرواية التي تقول٢٠ / ٢٣٥: [إن امرأةً ذات جمالٍ دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النور فأبى وقال:

أمـــا الحـــرام فالممـــات دونـــهُ
والحـــــلُّ لا حـــــلٌّ فأســـــتبينهُ
فكيـــف بـــالأمر الـــذي تبغينـــهُ
يحمـــي الكـــريمُ عرضـــهُ ودينـــه]

وبالرواية التي تقول٢٠ / ٢٣٥:

[راود توبة بن الحمير ليلى الأخيلية مرَّةً عن نفسها، فاشمأزَّت منه وقالت:

وذي حاجـةٌ قلنـا لـه لا تـبح بهـا فليس إليها - ما حييت - سبيلُ
لنـا صـاحبٌ لا ينبغـي أن نخونـه وأنـت لأُخـرى صـاحبٌ وخليـلُ]

وبقول ابن ميَّادة٢٠ / ٢٣٥:

موانـــع لا يُعطـــين حبَّـــة خـــردلٍ وهـــنَّ زوانٍ في الحـــديث أوانـــسُ
ويكـرهن إن يسـمعن في اللـهو ريبـةً كما كرهت صوت اللجام الشوامسُ

وقول آخر٢٠ / ٢٣٥:

بـيضٌ أوانـس مـا هممـت بريبـةٍ كضـباء مكـةَ صـيدهن حـرامُ
يُحســبن - مــن لــين الكــلام - ويصـدُّهنَّ عـن الخنـا الإسـلامُ

وقول قيس بن الملوَّح٢٠ / ٢٣٦:

كـأنَّ علـى أنيابهـا الخمـر مجَّـهُ بمـاء النـدى مـن آخـر الليـل غـابقِ
ومـــا ذقتـــه إلاَّ بعـــيني تفرُّســـاً كما شيم من أعلى السحابة بارق

وقول أبو صفيرة البولاني٢٠ / ٢٣٦:

بأعذب ما فيها وما ذقت طعمه ولكنني - فيما ترى العين -

وقول ابن المولى المدني ٢٠ / ٢٣٦ :

فأبكي فلا ليلى بكت من صبابةٍ لباك، ولا ليلى التي البذل تبذلُ

وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتنصَّلُ

وقول شاعر ٢٠ / ٢٣٦ - ٢٣٧ :

ما أن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلاَّ نهاني الحياء والكرمُ

ولا إلى محرمٍ مددت يدي ولا مشت بي - لريبة - قدمُ

وقول العباس بن الأحنف ٢٠ / ٢٣٧ :

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصرِ

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به عفُّ الضمير ولكن فاسق النظرِ

وقول آخر ٢٠ / ٢٣٧ :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منهُ الحياء وخوف الله والحذرُ

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني منهُ الفكاهة والتحديث والنظرُ

أهوى الملاح وأهوى من أُجالسهم وليس لي - في حرامٍ منهمُ - وطرُ

كذلك الحبُّ لا إتيان معصيةٍ لا خير في لذَّةٍ من بعدها سقرُ

وقول آخر ٢٠٢٤٠ :

أنا زاني اللسان والطرف إلاَّ أن قلبي يعاف ذاك ويابى

لا يراني الإله أشرب إلاَّ كلما حلَّ شربه لي وطابا

وقول آخر٢٠ / ٢٤٠:

نلهو بهنَّ كذا من غير فاحشةٍ لهو الصيام بتفَّاح البساتين

وقول المتنبي٢٠ / ٢٤٠:

وترى الفتوَّة والمروءة والأُبوَّ ةَ فيَّ كلُّ مليحةٍ ضرَّاتها

هنَّ الثلاث المانعات للذَّتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

إني على شفقي بما في خمرها لا عفَّ عما في سرا ويلاتها

ذم الحرب

ولقوله عليه السلام:

«كلما أطلَّ عليكم منسرٌ من مناسر أهل الشام أغلق كلُّ رجلٍ منكم بابه، وانجحر انجحار الضبَّة في جحرها، والضب في وجارها».

استشهد ابن أبي الحديد بقول الشاعر٦ / ١٠٦:

أضحت تشجِّعني هندٌ وقد علمت أن الشجاعة مقرونٌ بها العطبُ

لا والذي حجَّت الأنصار كعبتهُ ما يشتهي الحرب عندي من له أربُ

للحرب قومٌ أضلَّ الله سعيهمً إذا دعتهم إلى حوماتها وثبوا

ولستُ منهم ولا أهوى فعالهمُ لا القتل يعجبني منا ولا السلَبُ

وقول أيمن بن خزيمة الأسدي٦ / ١٠٦:

إنَّ للفتنـــــة ميطـــــاً بيننـــــا ووريـــد المـــيط منهـــا يعتـــدلْ

فـــإذا كـــان عطـــاءٌ فابتـــدر وإذا كـــان قتـــالٌ فـــاعتزلْ

إنمـــــا يُســـــعرها جُهَّالهـــــا حطـــب النـــار فـــدعها تشـــتعلْ

الضوء الرابع

المختار من أقوال الإمام علي عليه السلام

ويشتمل على:

الإرشاد والنصح من ١ - ٧

النقد والتعريض من٨ - ١٥

العتاب والتقريع من١٦ - ٢١

الزهديات من٢٢ - ٣٠

البعثة النبوية من٣١ - ٣٦

التحذير من الفتن من٣٧ - ٤١

منزلته عليه السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ٤٢ - ٤٦

المناظرة والجدل من٤٧ - ٥٠

الوصف العجيب من ٥٠ - ٥٢

الأحكام الشرعية من٥٣ - ٥٦

الوصايا والتعاليم من٥٧ - ٦٧

المنهج السياسي من٦٨ - ٧٠

حِكَم قصار من٧١ - ٣٠٠

النصح والإرشاد

١ - قال عليه السلام لأبي ذر (رحمه الله) لما خرج إلى الربذة:

((يا أبا ذر إنك غضبتَ لله، فارجُ من غضبتَ له، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفت عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبدٍ رتقاً، ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسنَّك إلا الحق، ولا يوحشنَّك إلا الباطل، فلو قبلتَ دنياهم لأحبّوك، ولو قرضتَ (قطعتَ) منها لأمّنوك)).

٢ - وقال عليه السلام في المسارعة إلى العمل:

«فاعملوا وأنتم في نَفَسِ (سعة) البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة (مقبولة) والمُدبِر (المُعرِض) يُدعى، والمسيء يرجى، قبل أن يُخمدَ (ينقطع) العمل، وينقطع المُهَل، وينقضي الأجل، ويُسَدَّ بابُ التوبة، وتصعد الملائكة، فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه، وأخذه من حيٍّ لميّتٍ، ومن فانٍ لباقٍ، ومن ذاهب لدائم، امرؤٌ خاف الله وهو معَمِّرٌ إلى أجله، ومنظور (مُهمل) إلى عمله، امرؤ ألجم نفسه بلجامها وزمّها (قادها) بزمامها، فأمسكها بلجامها عن معاصي الله، وقادها بزمامها إلى طاعة الله».

٣ - وقال عليه السلام في فساد الزمان:

«واعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه الحق قليل، واللسان عن الصدق كليل (قاصر) واللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان،

مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم (شرس) وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم محاذق (غشاش)، لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم».

٤ - وقال عليه السلام:

«ألا وإن اللسان بضعة (قطعة) من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع، وإنا لأمراء الكلام، وفينا تنشبت (ثبتت) عروقه، وعلينا تهدلت (تدلت) غصونه».

٥ - وقال عليه السلام وهو يعظ ويوصي:

«أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله، وأحذّركم الدنيا، فإنها دار شخوص (ذهاب) ومحلّة تنغيص، ساكنها ضاعن، وقاطنها بائن (مبتعد)، تميد (تضطرب) بأهلها مَيَدان السفينة تقصفها (تكسرها) العواصف في لجج البحار؛ فمنهم الغرق الوبق (الهالك)، ومنهم الناجي على بطون الأمواج، تحفّزه (تدفعه) الرياح بأذيالها وتحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرك، وما نجا منها فإلى مهلك!

عباد الله، الآن فاعملوا، والألسن مطلقة، والأبدان صحيحة، والأعضاء لدنة (لينة)، والمنقلب فسيح، والمحال عريض، فخففوا عليكم نزوله، ولا تنتظروا قدومه».

٦ - وقال عليه السلام، وكان يدعو به كثيراً:

«الحمد لله الذي يصبح بي ميتاً ولا سقيماً، ولا مضروباً على عروقي بسوء، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً واتري (نسلي)، ولا مرتداً عن ديني، ولا

منكر ربّي، ولا مستوحشاً من إيماني، ولا ملتبساً عقلي، ولا معذباً بعذاب الأمم من قبلي، أصبحتُ عبداً مملوكاً ظالماً نفسي، لك الحجةُ عليَّ ولا حجةَ لي، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني، اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضل في هداك، أو أضامَ في سلطانك، أو أُضطَهدَ والأمرُ لك، اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي، وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي، اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، وأن نُفتتن في دينك، أو تتابع بنا أهواؤنا، دون الهدى الذي جاء من عندك».

٧ - وقال عليه السلام في عجيب صنعة الكون:

«وكان من اقتدار جبروته، وبديع لطائف صنعته، أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف (المتزاحم)، يبساً جامداً، ثم فطر (خلق)، منه أطباقاً (طبقات) ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها (اتصالها)، فاستمسكت بأمره وقامت على حدِّه وأرسى أرضاً يحملها الأخضر (البحر) المتعنجر (معظم البحر)، والقمقام (البحر) المُسَخَّر، قد ذلّ لأمره، وأذعن لهيبته، ووقف الجاري لخشيته، وجَبَل (خلق) جلاميدها (صخورها)، ونشوز (مرتفعات) متونها (متصلباتها) وأطوادها (عظامها الناتئات) فأرساها في مراسيها، وألزمها قراراتها، فمضت رؤوسها في الهواء ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها (أظهرها) عن سهولها، وأساخ (غوّص) قواعدها في متون أقطارها، ومواضع أنصابها (معالمها)، فأشهق (رفع) قِلالها (أعلاها) وأطال أنشازها (جوانب الأرض المرتفعة)، وجعلها للأرض مادا، وأرزها (ثبتها) فيها أوتاداً، فسكنت على حركتها من أن تميد (تضطرب)

بأهلها، أو تسيخ (تغوص) بحملها، أو تزول عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موحان مياهها، وأجهدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مِهاداً، وبسطها لهم فراشاً،! فوق بحرٍ لُجّيٍ راكد لا يجري (لا يسيل)، وقائم لا يسري، تكركره تذهب به وتعود إلى الرياح العواصف، وتمخضه الغمام الذوارف (الذارفة الدموع):

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى (النازعات / ٢٦) } .

النقد والتعريض

٨ - وقال عليه السلام في الخوارج لمّا سمع قولهم (لا حكم إلا لله):

«كلمة حقٍ يُراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لابد للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلِّغ الله فيها الأجل، ويتجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برٌّ، ويستراح من فاجر».

٩ - وقال عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أمية:

«والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه (استباحوه) ولا عقداً إلا حلّوه، وحتى لا يبقى بيد مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان:

باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لدنياه، وحتى تكون نصرة أحدكم من احدكم

كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتى يكون أعظمكم فيها عناءً أحسنكم بالله ظناً، فإن (العاقبة للمتقين)».

١٠ - وقال عليه السلام، وفيه بيّن بعض أحكام الدين وكشف للخوارج الشبهة ونقض كلمة الحكمين:

«فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت، فلم تضللون عامة أمة محمد بضلالي، وتأخذونهم بخطئي وتكفرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب، وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجم الزاني المُحصَن، ثم صلى عليه، ثم ورّثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع السارق وجلد الزاني غير المُحصَن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يُخرِج أسماءهم مِن بين أهله، ! ثم أنتم شرُّ الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به - (ضلالته)!

وسيهلك فيّ صنفان، محبٌ مفرط يذهب به الحب إلى غير الله، ومبغضٌ مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم لذئب».

١١ - وقال عليه السلام يصف فئة من أهل الضلال:

«وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي، ويستوجبوا الغِيَر (النائبات)، حتى إذا

اخلولق الأجل (انقض) واستراح قوم إلى الفتن، وأشالوا (رفعوا) من لقاح حربهم، لم يُمنّوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بَذلَ أنفسهم في الحق، حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء، حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربهم بأمر واعظهم، حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج (المكر)، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أُمروا بمودّتِه، ونقلوا البناء عن أرض أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة (شدة).

قد ماروا (اضطربوا) في الحيرة، وذهلوا في السكرة، على سنّة من آل فرعون: من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين».

١٢ - وقال عليه السلام يوم الشورى:

«.. وقد قال قائل: إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص؛ فقلت:

بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي (تمنعونني) دونه. فلما قرّعته (ضربته) بالحجة في الملأ الحاضرين، هب (صاح) كأنه يهِب لا يدري ما يجيبني به».

١٣ - وقال عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل:

«فقدموا على عمالي وخزّان بيت المسلمين الذي في يديَّ، وعلى أهل مصر، كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فقتلوا طائفة منهم غدراً، وطائفة عضّوا (صبروا) على أسيافهم، فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين».

١٤ - وقال عليه السلام، في شأن الحكمين وذم أهل الشام:

«جفاة غِلاظ طغام، وعبيد أقزام (أرذال)، جُمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب (خلط)، من ينبغي أن يُفَقَّه ويُؤَدّب، ويُعَلَّم ويُدَرَّب، ويولَّى عليه، ويؤخذ على يديه، ليسوا من لمهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوؤوا الدار والإيمان.

ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون، وأنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون، وإنما عهدكم بعبد اله بن قيس؛ بالأمس من يقول:

إنها فتنة، فقطِّعوا أوتاركم وشِيموا (اغمدوا) سيوفكم، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مُستكرَهٍ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة، فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الأيام، وخوطوا قواصي الإسلام.

ألا ترون إلى بلادكم تُغزى، وإلى صفاتكم ترمى؟».

١٥ - وقال عليه السلام في الاستنصار على قريش:

«اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، أمر هو لي، ثم قالوا: ألا إن الحق أن تأخذه، وأن الحق أن تتركه.

فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله - كما تُجر الأمة عند

شرائها، متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا (يقصد طلحة والزبير) نساءها في بيوتهما، وأبرزا حبيس (عائشة) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، طائعاً غير مُكرَه.. فوالله لو لم يصيبوا المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين (قاصدين) قتله، بلا جرم جرّه، لحلَّ لي قتل ذلك الجيش كله، إذ حضروه ولم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد».

العتاب والتقريع

١٦ - وقال عليه السلام وفيه ينفر من الغفلة وينبه إلى الفرار لله:

«فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم (خفتم) وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوبٌ عنكم ما قد عاينوا، وقريبٌ ما يُطرَح الحجاب! ولقد بصرتم إن أبصرتم، وسمعتم إن أسمعتم، وهديتم إن اهتديتم، وبحقٍ أقول لكم:

لقد جاهدتكم العبر وزُجرتم بما فيه مزدَجَر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء (الملائكة) إلا البشر».

١٧ - وفي استنفار الناس إلى أهل لشام، بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد، قال عليه السلام:

«أفٍّ لكم لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت (اضطربت) أعينكم

كأنكم من الموت في غمرة (شدة)، ومن الذهول في سكرة، يُرتَج (يغلق) عليكم حواري (مخاطبتي)، فتعمهون (تتحيرون) وكأن قلوبكم مألوسة (مجنونة) فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقةٍ سجيسَ (أبدا) الليالي، وما أنتم بِرُكنٍ يُمالُ بكم، ولا زوافر أركان عزٍّ، يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كإبِلٍ ضلَّ رعاتها، فكلما جُمعت من جانب انتشرت من جانب آخر لبئس - لعمر الله - سُعر (موقدوا) نار الحرب أنتم! تُكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غُلب والله المتخاذلون! وأيم الله إني لأظن بكم أن لو حُمس (اشتد) الوغى (الحرب) واستمر الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس، والله إن امرأً يُمَكِّنُ عدوّه من نفسه يعرُقُ لحمه (يذوب)، ويهشم عظمه يفرى (يمزق) جلده، لعظيم عجزُهُ، ضعيف ما ضُمّت عليه جوانح صدره (ضلوع صدره)، أنت فكن ذاك إن شئت؛ فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضربٌ بالمشرفية (السيوف) تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء».

١٨ - وقال عليه السلام في أصحابه:

«ولئن أُمهِل الظالم فلن يفوت أخذُهُ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجا (عظم يعترض الحلق) من مساغ ريقه، أما والذي نفسي بيده ليظهرنَّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائهم عن حقه، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحتُ أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم

تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحتُ لكم فلم تقبلوا، أشهودٌ كغُيّاب، وعبيدٌ كأرباب! أتلوا عليكم الحِكَم فتنفرون منها، وأعِظُكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غُدوةً، وترجعون إليَّ عشيةً، كظاهر الحنية (القوس) عجز المُقَوِّم وأعضل المقَوَّم».

١٩ - وقال عليه السلام يوبخ البخلاء بالمال والنفس:

«فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها، تكرمون (تعزون) بالله على عباده، ولا تكرمون الله في عباده! فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصال إخوانكم».

٢٠ - بعد ليلة الهرير في صفين قام إليه عليه السلام رجل من أصحابه فقال:

نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندرِ أي الأمرين أرشد؟

فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

«هذا جزاء من ترك العقدة (التعاقد)! أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه، الذي يجعل الله فيه خيراً كثيراً، فاستمعتم هديتكم، وإن اعوججتم قوَّمتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن؟ وإلى من؟ أريد أن أداويَ بكم وأنت دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضَلَعها (ميلها) معها.

اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوِي (المؤلم) وكلّت (ضعفت) النزعة بأشطان الركيّ (حبائل البئر)! أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولِهوا وَلَهَ اللقاح (النوق) إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفا، وصفاً صفا، بعضٌ هلك وبعضٌ نجا؟ لا يبشرون بالأحياء (لحبهم الموت في سبيل العقيدة)، ولا يُعزّون عن الموتى (لأن الموت عندهم سعادة)، مُرهُ العيون (بيض العيون) من البكاء، خمص (ضوامر) البطون من الصيام، ذبل (يابسة) الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحُق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم، إن الشيطان يسني (يسهل) لكم طرقه، ويريد أن يحُلّ دينكم عقدة عقدة، ويُعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة لفتنة، فاصدفوا (أعرضوا) عن نزعاته (وساوسه) ونفثاته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقِلوها (احبسوها) على أنفسكم».

٢١ - وبعد سماعه أمر الحكمين قال عليه السلام:

«إننا لم نحكِّم الرجال، إنما حكّمنا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولابد له من ترجمان، وإنما ينطق عن الرجال.. فأين يتاه بكم؟ ومن أين أتيتم؟ استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، ومُوَزَّعِينَ بالجور (أُغري بهم) لايعدلون (لايستبدلون) به، جفاة من الكتاب نُكْد (حائرين) عن الطريق، ما أنتم بوثيقة (عروة) يُعلَّقُ بها، ولا زوافر (أنصار) عزٍّ يعتصم إليها، لبئس حشاش نار الحرب أنتم! أُفٍّ لكم! لقد لقيت منكم برحا

(شدة)، يوماً أُناديكم ويوماً أُناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء (المعتبات)».

الزهديات

٢٢ - وقال عليه السلام في زهدياته:

«أما بعد، فإن الدنيا أدبرت، وآذنت أعلمت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت (أقبلت بفتنة) باطلاع، ألا وإن اليوم المضمار (من الضمور) وغداً السباق، والسبقة الجنة (الغاية)، والغاية النار؛ أفلا تائب عن خطيئته قبل منيَّته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟

ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، وضرَّه أجله.

ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها.

ألا وإنه من لا ينفق الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى، يجريه الضلال إلى الردى.

ألا وإنكم أمرتم بالضعف ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم، اثنتان: اتباع الهوى، وطول الأمل. فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا».

٢٣ - وقال عليه السلام:

«فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة (قشرة) القرظ (ورق السلم)، وقراضة الحلم (مقراظ)، واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ مَن بعدكم! وارفضوها ذميمة فإنها رفضت من كان أشفق بها منكم».

٢٤ - وقال عليه السلام:

«أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان؛ اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد أقبلت حذّاء (سريعة).

ألا وإن الآخرة قد أقبلت، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة، وإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

٢٥ - وقال عليه السلام، في ذم الدنيا:

«والدنيا دار مُنِيَ (قُدِّر) لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء (الخروج)، وهي حلوة خضراء، وقد عجلت للطالب، والتبست (اختلطت) بقلب الناظر؛ فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف (مقدار القوت) ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ (ما يقتات به)».

٢٦ - وقال عليه السلام:

«ألا وإن الدنيا قد تصرَّمت، وآذنت بانقضاء، وتنكّر معروفها (خفي وجهها)، وأدبرت حذَّاء، فهي تحفز (تدفع) بالفناء سكانها، وتحدو (تسوق)

بأموات جيرانها، وقد أمرَّ (صار مرّاً) فيها ما كان حلواً، وكدر (تعكّر) منها ما كان صفواً، فلم يبق منها إلاّ سحلة كسحلة الأدواة (كبقية الماء في الإناء)، وجرعة كجرعة المقلة (حصاة لتقسيم الماء) ولو تمززها الصديان (مصها العطشان) لم ينقع (يروَ)، فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدنيا المقدور (المكتوب) على أهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الأمل، ولا يطولنَّ عليكم فيها الأمد.

فوالله لو حننتم حنين الولَّه العجال (النوق الفاقدة وُلْدَها) ودعوتم بهديل الحمام، وجأرتم جؤار (أصوات) متبتلي (منقطعي) الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد، التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصتها كتبه، وحفظتها رسله، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه.

وتلك لو انماثت (ذابت) انمياثاً (ذوباناً) وسالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دماً، ثم عمَّرتكم في الدنيا، ما الدنيا باقية، ما جزت أعمالكم عنكم - ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم - أنعمه عليكم العظام، وهداه إياكم الإيمان».

٢٧ - وقال عليه السلام:

«ألا وإن الدنيا لا يسلم منها إلاّ فيها، ولا يبقى بشيء كان لها، ابتُليَ الناس بها فتنة، فما أخذوه منها لها، أخرجوا منه حُوسِبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها، قدموا عليه وأقاموا فيه. فإنها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابقاً (ممتداً) حتى تراه قلص (انقبض) وزائداً حتى نقص».

٢٨ - وقال عليه السلام:

«أيها الناس، الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والتورع (الكف) عند المحارم، فإن عَزَبَ (بَعُدَ) ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم، فقد أعذر (أنصف) الله إليكم بحجج مسفرة (كاشفة) ظاهرة، وكتب بارزة العذر واضحة».

٢٩ - وقال عليه السلام:

«أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل (تترامى) فيه المنايا، مع كل جَرعة شَرَقٌ، وفي كل أكلة غصصٌ، لا تنالون منها نعمة إلاّ بفراق أخرى، ولا يُعمَّر معمَّرٌ منكم يوماً من عمره إلاّ بهدم آخر من أجله. ولا تجدد له زيادة في أكله إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر، إلاّ مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلاّ بعد أن يَخلَقَ (يبلى) له جديد، ولا تقوم له نابتة إلاّ وسقط منه محصوده، وقد مضت أُصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله»

٣٠ - وقال عليه السلام:

«أيها الناس إنما الدنيا دار المجاز (ممر) والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا هتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأَخرِجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختُبِرتم، ولغيرها خُلِقتم، إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدّم؟ لله آباؤكم! فقدِّموا بعضاً يكن لكم قرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون قرضاً عليكم».

البعثة النبوية

٣١ - وقال عليه السلام يصف العرب قبل البعثة:

«إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرِّ دين، وفي شرِّ دار، منيخون (مقيمون) بين حجارة خُشنٍ (من الخشونة)، وحبّاتٍ صُمٍّ تشربون الكدر وتأكلون الجشب (الطعام الغليظ)، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة (مشدودة)».

٣٢ - وقال عليه السلام في حكمة بعثة النبي صلى الله عليه وآله:

«إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعي فساق الناس حتى بوأهم محلتهم (منزلتهم)، وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم (أحوالهم) واطمأنت صفاتهم».

٣٣ - وقال عليه السلام وهو يقرر فضيلة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله:

«بعثه والناس ضلال في حيرة، وحاطبون فتنة قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم (طيَّشتهم) الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال الأمر، وبلاءٍ من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا بالحكمة والموعظة الحسنة».

٣٤ - وقال عليه السلام في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله:

«مستقرُّهُ غير مستقرب، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد (مباسط) السلامة، قد صُرِفت نحوهُ أفئدة الأبرار، وثُنيت إليه أزمة الأمصار، دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر (العداوات)، ألَّف به إخواناً، وقرَّ به أقراناً، أعزَّ به الذلة، وأذلَّ به العزَّة، كلامه بيان، وصمته لسان».

٣٥ - وقال عليه السلام يذكر فضل النبي صلى الله عليه وآله:

«أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبيّنات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمَثُلات (العقوبات)، والناس في فِتن انجذم (انقطع) فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النجر (الأصل)، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عُصِيَ الرحمن، ونُصِر الشيطان، وخُذِل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكّرت معالمه، ودرست (انطمست) سبله، وعفت شُرَكُهُ (طرقه)، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله (مشاربه)، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه، في فتنٍ داستهم بأخفافها (جمع خف)، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرضٍ عالِمُها مُلجَم، وجاهلها مُكرَم».

التحذير من الفتن

٣٦ - وقال عليه السلام في الفتن:

«إنما بدءُ وقوع الفتن أهواء تُتَّبع، وأحكامٌ تُبدَع، يخالَفُ فيها كتاب الله،

ويتولى عليها رجالٌ رجالاً، على غير دين الله، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يَحْفُ على المرتادين (الطالبين) ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذُ من هذا ضغث (حشيش مختلط) ومن هذا ضغث، فيمزجان! فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

٣٧ - وقال عليه السلام في ذكر الملاحم:

«الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخِر بعد كل آخِر، وبأوليته وجب أن لا أول له، وبآخرِيته وجب أن لا آخِر له، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً يوافق فيها السرُّ الإعلان، والقلب اللسان.

أيها الناس، لا يجرمنّكم (يحرمنّكم) شقاقي (مخالفتي) ولا يستهوينّكم (يجعلنكم) عصياني، ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعون مني، فو الذي فلق الحبة (شقها) وبرأ (خلق) النسمة (الروح)، إن الذي أُنبئكم به من النبي الأمّي صلى الله عليه وآله، ما كذبَ المبلِّغ، ولا جهل السامع، لكأني أنظر إلى ضلّيل (شديد الضلال) قد نعق بالشام، ونصب راياته في ضواحي كوفان (الكوفة) فإذا فغرت فاغرته (فمه)، واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كُلُوحُها (عبوسها) ومن الليالي كُدُوحُها (خدوشها). فإذا أينع زرعه، وقام على ينعِهِ (نضجه)، وهدرت شقاشقه (هدير البعير) وبرقت بوارقهُ (سيوفه)، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبل كالليل المظلم، والبحر الملتطم، هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف (رعد) ويمر عليها من

عاصف (ريح)، وعن قليل تلتف القرون (القادة) ويُحصَدُ القائم، ويُحَطَّم المحصود».

٣٨ - وقال عليه السلام وهو يذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة:

«.. وذلك يوم يجمع الله الأولين والآخِرين، لِنِقاش الحساب، وجزاء الأعمال، خضوعاً، قياماً، قد ألجمهم العَرَقُ (سال حتى ألفم (اللجام)، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدمٍ موضعاً، ولنفسه متسعاً».

٣٩ - وعن الفتن قال عليه السلام:

«فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا تُردُّ لها راية، تأتيكم مزمومة، مرحولة (من الزمام والرحال) يحفرها (يحشّها) قائدها يَمهَدها راكبها، أهلها قومُ شديدٌ كَلَبهم (شرهم)، قليل سَلَبهم، يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون، فويلٌ لكِ يا بصرة عند ذلك، من جيش من نِقَم الله لا رهج (غبار) له ولا حسَّ (صوت)، ويُبتلى أهلك بالموت الأحمر، والجوع الأغبر (المحل والجدب)».

٤٠ - وقال عليه السلام في ذكر الملاحم:

«ألا بأبي وأمي، هم من عِدّةٍ أسمائهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة، ألا فتوقعوا ما يكون من إدبار أموركم، وانقطاع وصلكم، واستعمال صغاركم، ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلِّه.

ذاك حيث يكون المُعطى أعظم أجراً من المعطي.

ذاك حيث تسكرون من غير شراب، بل من النعمة والنعيم، وتحلفون من غير اضطرار وتعذبون من غير إحراج (تضييق).

ذاك إذا عضّكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير (ما بين عنقه وسنامه). ما أطول هذا العناء، وأبعد هذا الرجاء!

أيها الناس، ألقوا هذه الأزمّة (جمع زمام) التي تحمل ظهورها الأثقال في أيديكم، ولا تصدّعوا (تفرّقوا) على سلطانكم فَتُذمّوا غب فعالكم، ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور (ارتفاع) نار الفتنة، وأميطوا عن سننها (تنموا) وضلوا قصد السبيل لها: فقد - لعمري - يهلك في لهبها المؤمن، ويسلم فيها غير المسلم.

إنما مثلي بينكم كمثل السراج في ظلمة، يستضيء به من ولجها، فاسمعوا أيها الناس، وعوا، واحضروا آذان قلوبكم تفهموا».

٤١ - وقام إليه رجل فقال:

- يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن الفتنة، وهل سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عنها؟

فقال عليه السلام:

«إنه لما أنزل الله - سبحانه - قوله:

{ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (العنكبوت / ٢) }.

علمت أن الفتنة لا تنزل بنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلَّم بين أظهرنا،

فقلت:

- يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟

فقال:

- يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي.

فقلت:

- يا رسول الله أو ليس قد قلت يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين حِيْزَتْ (ابتعدت) عني الشهادة، فشقَّ ذلك عليّ، فقلتَ لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك)؟

فقال لي:

- إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟

فقلت:

- يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر.

قال:

- (يا علي، إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويُمَنَّون بدينهم على ربّهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه، بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية، فيستحلّون الخمر بالنبين والسحت بالهدية، والربا بالبيع).

قلت:

- يا رسول الله، فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة رِدّة أم بمنزلة فتنة؟

فقال:

- بمنزلة فتنة.».

منزلته عليه السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله:

٤٢ - قال عليه السلام:

«.. وإن عليّ من الله جُنّة (وقاية) حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عنّي وأسلمتني؛ فحينئذٍ لا يطيش السهم، ولا يبرأ الكلم والجرح».

٤٣ - وقال عليه السلام، لما عزموا على بيعة عثمان:

«لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلِّمَنَّ ما سَلِمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفةٍ، وزبرجه (وشية)».

٤٤ - وقال عليه السلام يذكر فضله ويعظ الناس:

«تالله لقد عُلِّمتُ تبليغ الرسالات، وإتمام العِدات (المواعيد) وتمام الكلمات، وعندنا - أهل البيت - أبواب الحِكَم وضياء الأمر ألا وإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة (مستقيمة)، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ظل وندم، اعملوا ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر، ومن لا ينفعه حاضر لُبِّهِ فعازبه (غاربه) عنه أعجز، وغائبه أعوز، واتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد وشرابها صديد (قيح)، ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله تعالى للمرء في فيه

خير له من المال يورثه من لا يحمده».

٤٥ - وقال عليه السلام في الموعظة وبيان قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أيها الناس غير المغفور عنهم، والتاركون المأخوذ منهم، مالي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين، كأنكم نِعَمٌ (الابل والغنم) أراح (ذهب) بها سائم (راعٍ) إلى مرعى وبيٍّ (موبوء) ومشربٍ دويّ (وبيل) وإنما هي كالمعلوفة للمُدى (السكاكين) لا تعرف ماذا يُراد بها! إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها، وشبعها أمرها.

والله لو شئت أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه، وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله صلى الله عليه وآله.

ألا وأني مفضيه (قائله) إلى الخاصة ممن يؤمَن ذلك منه، والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً، وقد عهد إليّ بذلك، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرُّ على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ.

أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها».

٤٦ - وقال عليه السلام ينبه فيه على فضيلته بقبول قوله وأمره ونهيه:

«.. ولقد علم المستحفظون (المؤتمنون) من أصحاب محمد صلى الله عليه

وآله أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط. ولقد واسيته (أشركته) بنفسي في المواطن التي تنكص (تتراجع) فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة (شجاعة) أكرمني الله بها.

ولقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي، ولقد وُلِّيتُ غسله صلى الله عليه وآله، والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية (الباحات) ملأٌ يهبط وملأٌ يعرج، وما فارقت سمعي هنيمة (صوت خفي) منهم، يصلون عليه حتى وارياه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً؟ فانفذوا على بصائركم (ضياء العقل) ولتصدق نياتكم في جهاد عدوّكم.

فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق، وإنهم لعلى مزلة الباطل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم».

المناظرة والجدل

٤٧ - وقال عليه السلام، وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:

«أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي؛ دخلت إلى الموت أو خرج الموت لي، وأما قولكم شكاً في لأهل الشام، فوالله ما دفعت للحرب يوماً وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو (ببصر ضعيف) إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء (ترجع) بآثامها».

٤٨ - وقال عليه السلام للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون

على إنكار الحكومة:

«ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف، حيلةً وغيلةً، ومكراً وخديعة:

إخواننا وأهل دعوتنا، استقالوا واستراحوا إلى كتاب الله، سبحانه، فالرأي المقبول منهم، والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم:

هذا أمرٌ ظاهره إيمان، وباطنه عدوان، وأوله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، وألزموا طريقكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعقٍ نعق، إن أجيب ضل، وإن تُرك ذل، وقد كانت هذه الفعلة، وقد رأيتكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها وما وجبت علي فريضتها، ولا حملني الله ذنبها، ووالله إن جئتها إني لُمحِقٌّ الذي يُتَّبع؛ وإن الكتاب لمعي، ما فارقته مذ صحبته، فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبةٍ وشدةٍ إلا إيماناً، ومضيّاً على الحق، وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح.

ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام، على ما دخل فيه من الزَّيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة (وسيلة) يلم الله بها شعثنا (أمْرَنا)، وتتدانى (تتقارب) بها إلى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عن أسوارها».

٤٩ - وقال عليه السلام لّما عوتب على التسوية في العطاء:

«أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور في من وُلِّيت عليه! والله لأطور (لأُقار) به ما سمر سمير (مدى الدهر) وما أمَّ (قصد) في السماء نجماً! لو كان المال لي لسوّيتُ

بينكم، فكيف وإنما المال مال الله! ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤٌ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم. فإذا زلّت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خليل وألأم خدين (صديق)».

٥٠ - وقال عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله:

- كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم على حق؟

«يا أخا بني أسد، إنك لقلق البطين (بطان رحل البعير) وترسل (تطلق) في غير سدد (استقامة) ولك بعد ذمامة (حماية) الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فاعلم:

أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا (تعلقاً)، فإنها كانت أَثَرة (الاستئثار بلا حق) شحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله، والمَعْوَدُ إليه القيامة

وَدَع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

وهلم (اذكر) الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد بكائه؛ ولا غرو والله، فيا له خطباً يستفرغ العجب، ويكثر الأود (الاعوجاج) حاول القوم إطفاء نور الله، عن مصباحه، وسدّ فوّاره (ثقبه) من ينبوعه، وجدحوا (خلطوا) بيني وبينهم شرباً وبيئاً (موبوءً) فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحق على محضه (خالصه)؛ وإن تكن الأخرى، فلا تذهب نفسك

عليهم حسرات، إن الله عليمٌ بما يصنعون».

الوصف العجيب

٥١ - وقال عليه السلام، عن الخالق جل شأنه:

«هو الله الحق المبين، أحق وأبين مما ترى العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً، خلق الخلق على غير تمثيل، ولا مشورة مشير، ولا معونة معين، فتم خلقه بأمره، وأدعى لطاعته، فأجاب ولم يدافع، وانقاد ولم ينازع».

٥٢ - وقال عليه السلام، في عجيب صنعة الكون:

«وكان من اقتدار جبروته، وبديع لطائف صنعته، أن جعل من ماء البحر الزاخر (الممتليء)، المتراكم المتقاصف (المتزاحم)، يبساً جامداً، ثم فطر (خلق) منه أطباقاً (طبقات)، ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها، فاستمسكت بأمره، وقامت على حدِّه، وأرسى أرضاً يحملها الأخضر (البحر) المتضجر (معظم)، والقمقام (البحر) المسخّر، قد ذل لأمره، وأذعن لهيبته، ووقف الجاري منه لخشيته، وجبل (خلق) جلاميدها (صخورها الصلبة) ونشوز (مرتفعات) متونها (الصلبة) وأطوادها فأرساها في مراسيها (مراسخها)، وألزمها قراراتها (مستقراتها) فمضت رؤوسها في الهواء ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها (رفعها) عن سهولها، وأساخ (أغاص) قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها (أعلامها) فأشهق خلالها (أعلاها) وأطال أنشازها (متونها المرتفعة) وجعلها للأرض عماداً وأرزّها (ثبّتها) فيها أوتاداً، فسكنت عن حركتها من أن تميد بأهلها، أو تسيخ بحملها، أو تزول

عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مِهاداً، وبسطها لهم فراشاً! فوق بحرٍ لُجّيٍ (راكد لا يجري)، وقائم لا يسري)».

الأحكام الشرعية

٥٣ - وقال عليه السلام في ذكر الحج:

«.. وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلةً للأنام، يرددونه ورود الأفهام، ويألهون إليه ولوه الحمام (لوذ الحمام) وجعله، سبحانه، علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعاناً لعزته، واختار من خلقه سُمّاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله، سبحانه وتعالى، للإسلام علماً، وللعائذين حرماً، فرض حقه، وأوجب حجه، وكتب عليكم وفادته (زيارته)، فقال سبحانه:

{ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (آل عمران / ٩٧) } .

٥٤ - وقال عليه السلام في وصف الأضحية:

«ومن تمام الأضحية استشراف أذنها (تفقدها) وسلامة عينيها، فإذا سلمت الأذن والعين سلمت الأضحية وتمت، ولو كانت عضباء القرن (مكسورته) تجر

رجلها المنسك (المذبح)».

٥٥ - وقال عليه السلام، في أركان الدين:

«إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة! وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضةٌ واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جُنّة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر، ويرحضان (يغسلان) الذنب، وصِلة الرحم فإنها مثراة في المال، ومنسأة (مزيد) في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفّر الخطيئة؛ وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان.

أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر.

وارغبوا في ما وعد المتقين فإن وعده أصدق الوعد.

واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدي.

واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن.

وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث.

وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب.

واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور.

وأحسِنوا تلاوته فإنه أنفع القَصَص.

وإن العالِم العامل بغير علم كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل

الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم (أشد لوماً)»

٥٦ - وقال عليه السلام يوصي أصحابه:

«.. تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها:

{ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (النساء / ١٠٣) }.

ألا تسمعون جواب أهل النار حين سُئلوا:

- ما سلككم في سقر؟

قالوا:

- { لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (المدثر / ٤٣) }.

وإنها لتحتُّ (تقشر) الذنوب حتّ الورق وتطلقها طلاق الربق (حبل من عدة عرى)، وشبّهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة (عينٌ ماؤها حار)، تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات. فما عسى أن يبقى من الدرن الوسخ؟ وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرّة عينٍ من ولدٍ ولا مال، يقول الله سبحانه:

{ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (النور / ٣٧) }.

الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم (نصباً) بعد التبشير له بالجنة، لقوله سبحانه:

{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (طه / ١٣٢) } .

فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه. ثم إن الزكاة جُعِلَت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطاها طيِّب النفس بها، فإنها تجعل له كفارة، ومن النار حجازاً ووقاية، فلا يتبعنَّها أحد نفسه، ولا يكثرنَّ عليها لهفه، فإن من أعطاها غير طيب النفس بها، يرجو بها ما هو أفضل منها، فهو جاهل بالسنة، مغبون (منقوص) الأجر، ضال العمل، طويل الندم.

ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عُرِضت على السماوات المبنية، والأرضين المدحوة (المبسوطة) والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض، ولا أعلى ولا أعظم منها ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهِلَ مَن هو أضعف منهنَّ، وهو الإنسان.

{ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب / ٧٢) } ».

الوصايا والتعاليم

٥٧ - وقال عليه السلام، يوصي عبد الله بن العباس (رحمه الله):

«أما بعد، فإن المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأسَ عليه جزعاً،

وليكن همك فيما بعد الموت».

٥٨ - وقال عليه السلام، من وصية للإمام الحسن عليه السلام طويلة وذات مضامين تتوافر على مفاصل الحياة بتفاصيل دقيقة نجتزيء منها ما يأتي:

× أوصيك بتقوى الله - أي بني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، أو أي سبب أوثق بينك وبين الله إن أنت أخذت به.

× أحيي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلِّله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام.

× فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

× ودع القول في ما لا تعرف، والخطاب في ما لم تُكَلّف.

× وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإن الكف عند حيرة الضلال خيرٌ من ركوب الأهوال.

× وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك.

× وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

× وخض الغمرات للحق حيث كان.

× وتفقه في الدين.

× وعوِّد نفسك الصبر على المكروه، ونعم الخُلُق التصبر في الحق.

× وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك.

× وأكثِر الاستخارة.

× وإن خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في عِلمٍ لا ينفع، ولا يُنتفع بعلم لا يحق تعلّمه.

× واعلم إن مالك الموت هو مالك الحياة، وإن الخالق هو المميت، وإن المغني هو المعيد.

× وإن المبتلي هو المعافي.

× واعلم - يا بني - إن أحداً لم ينبيء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول صلى الله عليه وآله.

× فارضَ به رائداً، وإلى النجاة قائداً.

× واعلم يابني، لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إلهٌ واحد، كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً ولم يُزَلْ.

× يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها.

× ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلَم.

× وأحسِن كما تحب أن يُحسَن إليك.

× واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك.

× وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك.

× ولا تقل ما لا تعلم وإن قَلَّ ما تعلم.

× ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

× واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب.

× واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة، ومشقّةٍ شديدة، وإنه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الزاد، مع خفة الظهر. فلا تحملنَّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون من ثقل ذلك وبالاً عليك.

× واغتنم من استقرضك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

× واعلم يقيناً لأنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وإنك في سبيل من كان قبلك فخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسَب، فإنه رُبَّ طلبٍ قد جرى حَرَب (سلب المال) فليس كل طالب بمرزوق، ولا كل مجمل بمحروم.

× وأكرم نفسك عن كل دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً

× ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً.

× وإياك أن توجف (تسرع) بك مطايا الطمع، فتوردك مناهل الهلكة.

× وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك.

× وحفظ ما في يديك أحب إليّ من طلب ما في يدي غيرك.

× ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس.

× والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور.

× والمرءُ أحفظ لسره.

× ورُبَّ ساعٍ فيما يضره.

× من أكثر هجر (هذى) ومن تفكر أبصر.

× قارن أهل لخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم.

× بئس الطعام الحرام.

× وظلم الضعيف أفحش الظلم.

× إذا كان الرفيق خُرقاً (عنفاً) كان الخُرق رفقاً.

× ربما كان الدواء داءً، والداء دواءً.

× وربما غير الناصح، وغش المستنصح.

× وإياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى (الحمقى).

× والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك

× بادر لفرصة قبل أن تكون غصّة.

× وليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب.

× ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد.

× ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قُدِّر لك.

× التاجر مخاطر، وربّ يسير أنمى من كثير.

× ساهل (من السهولة) الدهر ما ذل لك تَعُودُه (انقياده).

× ولا تخاطر بشيء رجاءَ أكثر منه، وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج (الخصومة).

× احمل نفسك من أخيك: عند صرمه (القطيعة) عن الصلة (ضد القطيعة).

وعند صدوده (هجره) على اللطف، والمقاربة.

وعند جموده (بخله) على البذل (العطاء).

وعند تباعده على الدنو.

وعند شدته على اللين.

وعند جرمه على العذر. حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك،

وإياك أن تصنع ذلك في غير موضعه أو تفعله بغير أهله.

× لا تتخذنَّ عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك وامحض أخاك النصيحة، حسنة كان أو قبيحة.

× وتجرع الغيظ (الغضب الشديد) فإني لم أرَ جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذّ مغبةً.

× ولِنْ (من اللين) لمن غالظك (خاشنك) فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين.

× وإن رمت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما.

× ومن ظنّ بك خيراً فصدِّق ظنّه.

× ولا تضيعنَّ حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك باغٍ، من أضعت حقه.

× ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك.

× ولا ترغبن في من زهد عنك.

× ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته.

× ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان.

× ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرته ونفعك.

× وليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

× إن الرزق رزقان، رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك.

× ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى.

× إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك (منزلتك).

× وإن كنت جازعاً على ما تَفَلَّت (تملص) من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك.

× استدل على ما لم يكن بما قد كان، فإن الأمور أشباه.

× ولا تكوننَّ ممن لا تنفعه العظة، إلاّ إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ

بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلاّ بالضرب.

× اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين.

× من ترك القصد (الاعتدال) جار (مال).

× والصاحب مناسب (أي كالقريب في النسب).

× والصديق من صدق غيبه (ضد الحضور).

× والهوى (شهوة وقتية) شريك العمى.

× وربّ بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد

× والغريب من لم يكن له حبيب.

× من تعدَّ الحق ضاق مذهبه.

× ومن اقتصر على قدره كان أبقى له.

× وأوثق سبب أخذتَ به سبب بينك وبين الله سبحانه.

× ومن لم يبالك (يهتم) فهو عدوك.

× قد يكون اليأس إدراكاً، إذا كان الطمع هلاكاً.

× ليس كل عورة تظهر، ولا كل فرصة تصاب، وربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده.

× أخِّر الشر فإنك إذا شئت تعجلته.

× وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

× من أمن الزمان خانه، ومن عظّمه (هابه) هانه.

× ليس كل من رمى أصاب.

× إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان.

× سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار

× إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك.

× أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول.

٥٩ - وقال عليه السلام إلى بعض عمّاله:

«أما بعد: فإنك ممن أستظهِر (أستعين) به على إقامة الدين، وأقمع (أكسر) به نخوة (كِبرَ) الأثيم، وأُسِدَّ به لَهَاةَ الثغر المَخُوف. فاستعن بالله على ما أهمّك، واخلط الشدة بضغث (خلط) من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلاّ الشدة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألِنْ لهم جانبك، وآسِ (شارك) بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام».

٦٠ - وقال عليه السلام، للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم:

«أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما (طلبتكما)، ولا تأسفا

على شيء منها زُوي (قُبض) عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً.

أوصيكما - وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي - بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول:

(صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام).

الله الله في الأيتام، فلا تُغبُّوا (تحرموا) أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم، حتى ظننا إنه سيورثهم.

والله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربكم، لا تُخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروه.

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم، وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل (العطاء)، وإياكم والتدابر والتقاطع.

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيُولَّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

٦١ - ومما كتب عليه السلام للأشتر النخعي، لما ولاّه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر. وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن قال عليه السلام:

«.. اعلم يا مالك، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشحَّ (ابخل) بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت..».

وبسبب طول " العهد " أجتزئ منه الفقرات الآتية:

× أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان؛ أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

× أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

× لا تنصبنَّ نفسك لحرب الله (مخافة شريعته) فإنه لا يَدَ لك بنقمته. ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

× لا تبجحنَّ (تفرحن) بعقوبة.

× إذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبَّهة (عظمة) أو مَخِيلَةً (خيلاء)، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك.

× إياك ومسامات (مبارات) الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله

يذل كل جبار، ويهين كل مختال.

× أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى (ميل) من رعيتك.

× وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية.

× وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم (أبغضهم) عندك، أشدهم لمعائب الناس.

× أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنهم سبب كل وتر (عداوة).

× لا تعجلن إلى تصديق ساعٍ فإن الساعي (النمام) غاشّ وإن تشبّه بالناصحين.

× إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً.

× إن أحقّ من حَسُنَ ظنك به كَمن حَسُنَ بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لَمن ساء بلاؤك عنده (البلاء=الصنع).

× أكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك.

× إعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض.

× إن أفضل قرة عين الولاة، استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية.

× إعرف لكل امريء منهم ما أبلى.

× أُردد إلى الله ورسوله ما يضلعك (يثقلك) من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور.

× اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك.

× أُنظر في أُمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباة (ميلاً) وأثرة.

× تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله.

× ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج.

× من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلا.

× أُنظر في حال كتّابك فولِّ على أُمورك خيرهم.

× إن الجاهل بِقَدْرِ نفسه يكون بقَدْرِ غيره أجهل.

× الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم.

× اجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرِّغ لهم فيه شخصك.

× لا تطوّلن احتجابك عن رعيتك.

× إياك والدماء وسفكها بغير حلّها.

× إياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء

٦٢ - ومن وصية وصَّى بها شريح بن هاني، لما جعله على مقدمته إلى الشام، قال عليه السلام:

«اتق الله كل صباح ومساء، وخفف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال، واعلم إنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب، مخافة مكروه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك (وثبتك) عند الحفيظة (الغضب) واقعاً (قاهراً) قامعاً».

٦٣ - ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان قال عليه السلام:

«أما بعد، فإن الوالي إذا اختلف هواه، منعه ذلك كثيراً من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك، راجياً ثوابه، ومتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بلية يفرغ صاحبها فيها كل ساعة إلا كانت فرغته (خلوته) عليه حسرة يوم القيامة، وإنه لن يغنيك من الحق شيء أبداً، ومن الحق عليك حفظ نفسك، والاحتساب (المراقبة) على الرعية بجهدك، فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام».

٦٤ - وقال عليه السلام إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته:

«أما بعد، فإن مثل الدنيا مثل الحية؛ ليّن مسها، قاتلٌ سمّها، فأعرض عما يعجبك فيها، لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها، لما أيقنت من فراقها، وتصرف حالها، وكن آنس ما تكون بها، أحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته (أذهبته) عنه إلى محذور، وإلى إيناس أزالته إلى أيحاش والسلام».

٦٥ - وقال عليه السلام إلى عبد الله بن عباس:

«أما بعد: فإنك لست بسابق أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، واعلم بأن الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك، وإن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك».

٦٦ - وعندما استخلف عبد الله بن عباس على البصرة قال عليه السلام:

«سعِ الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طَيَرة (خفة) من الشيطان. واعلم إن ما قرّبك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقرّبك من النار».

٦٧ - وعندما بعثه للاحتجاج على الخوارج أوصى عليه السلام:

«لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمَّال وجوه (ذو معانٍ كثيرة)، تقول ويقولون، ولكن حاجهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً (مهرباً)».

المنهج السياسي:

٦٨ - ولما تكدر محمد بن أبي بكر لدى عزله عن مصر وإحلال الأشتر محله كتب عليه السلام إليه يقول:

«أما بعد، فقد بلغني موجدتك (كدرك) من تسريح (إرسال) الأشتر إلى عملك (ولايتك)، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجد، ولا نزعت ما تحت يدك، من سلطانك، لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة، وأعجب إليك ولاية.

إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر، كان رجلاً لنا ناصحاً، وعلى عدونا شديداً ناقماً (كارهاً)، فرحمه الله فقد استكمل أيامه، ولاقى جامه (موته)، ونحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه، وضاعف الثواب له، فأصحر (ابرز) لعدوّك، وامضِ على بصيرتك، وشمّر لحرب من حاربك، وادعُ إلى سبيل ربّك، وأكثر الاستعانة بالله يكفِكَ ما أهمّك، ويعينك على ما ينزل بك، إن شاء الله».

٦٩ - وكتب عليه السلام إلى أهل مصر، لما ولّى عليهم الأشتر يقول:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه، وذُهب بحقه، فضرب الجور (الظلم) سرادقه (غطاءه) على البِر (التقي) والفاجر. والمقيم والظاعن (المسافر)، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يُتناهى عنه.

أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل (يجبن) عن الأعداء ساعات الروع (الخوف) أشدّ على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث، أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل (لا يقطع) الظبّة (حدَّ السيف) ولا ثابي الضريبة: إن تنفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم، ولا يؤخّر ولا يُقدِّم إلاّ عن أمري، وقد آثرتكم (خصصتكم) به على نفسي لنصيحته لكم، وشدّة كيمته (بأسه) على عدوكم».

٧٠ - وكتب عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري، عامله على المدينة عندما لحق قوم من أهلها بمعاوية فقال:

«أما بعد: فقد بلغني إن رجالاً ممن قبلك (عندك) يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيّاً (ضلالاً) ولك منهم شافياً، فرارهم من الهدى والحق، وانصياعهم (إسراعهم) إلى العمى والجهل، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون (مسرعون) إليها، وقد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا بالحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة (الأنانية) فبعداً لهم وسحقاً!!

إنهم والله لم يفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل، وإنا لنطمع في هذا الأمر، أن يذلّل لنا صعبه، ويسهّل لنا حَزَنه (أخشنه)، إن شاء الله والسلام».

حِكَمٌ قِصار:

وفي ما يأتي جملُ قصار اخترناها من كلامه عليه السلام وهي:

٧١ - إذا احتشم (أغضب) المؤمن أخاه فقد فارقه.

٧٢ - ما أخذ على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا

٧٣ - القناعة مال لا ينفد.

٧٤ - منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا.

٧٥ - الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة.

٧٦ - من اتجر بغير فقه ارتطم في الربا.

٧٧ - من عظّم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها.

٧٨ - من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته.

٧٩ - ليس بلد بأحق منك من بلد، خير البلاد ما حملك.

٨٠ - قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه.

٨١ - الناس أعداء ما جهلوا.

٨٢ - أولى الناس بالكرم من عُرِفَتْ به الكرام.

٨٣ - الحلم عِشيرة.

٨٤ - كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك

٨٥ - التُّقى رئيس الأخلاق.

٨٦ - القلب مصحف البصر.

٨٧ - من صارع الحق صرعه.

٨٨ - ما استودع الله امرأً عقلاً إلاّ استنقذه به يوماً ما.

٨٩ - من صَبَرَ صَبْرَ الأحرار وإلاّ سلا سُلُوَّ الأغمار.

٩٠ - ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك.

٩١ - مقاربة الناس في أخلاقهم آمن من غوائلهم.

٩٢ - ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تغفل فلست بمغفول عنك.

٩٣ - تكلموا تُعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.

٩٤ - ربّ قول أنفذ من صول.

٩٥ - كل مقتصر عليه كاف.

٩٦ - من طلب شيئاً ناله أو بعضه.

٩٧ - البخل جامع لمساويء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء.

٩٨ - الرزق رزقان، رزق تطلبه، ورزق يطلبك.

٩٩ - ربَّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره.

١٠٠ - الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه.

١٠١ - إن الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء

١٠٢ - العلم مقرون بالعمل، فمن عَلِمَ عمل.

١٠٣ - من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة.

١٠٤ - لا تسأل عما لا يكون، ففي الذي يقدم كان لك فيه مشكل.

١٠٥ - عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء، يكون الرخاء.

١٠٦ - أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله.

١٠٧ - ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند من تقطره.

١٠٨ - الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد.

١٠٩ - أشد الذنوب ما استهان به صاحبه.

١١٠ - لو رأى العبد الأجل ومصيره، لأبغض الأمل وغروره.

١١١ - لكل امرئ في حاله شريكان: الوارث والحوادث.

١١٢ - المسؤول حر حتى يَعِدَ.

١١٣ - الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

١١٤ - العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى.

١١٥ - يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم.

١١٦ - الغنى الأكبر اليأس عما في أيدي الناس.

١١٧ - ما ظَفِرَ مَن ظَفِرَ الإثم به، والغالب بالشر مغلوب.

١١٨ - الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به.

١١٩ - أقل ما يستلزمكم لله أن تستعينوا بذمه على معاصيه.

١٢٠ - إن الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة.

١٢١ - السلطان وَزعَة (حكم) الله في أرضه.

١٢٢ - المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه.

١٢٣ - اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم.

١٢٤ - إن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت.

١٢٥ - إن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، والعالِم المتعسّف شبيه بالجاهل

١٢٦ - إن للقلوب إقبالاً وإدبارا.

١٢٧ - أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار.

١٢٨ - الناس أبناء الدنيا لا يلام الرجل على حب أمه.

١٢٩ - إن المسكين رسول الله، فمن منعه فقد منع الله، ومن أعطاه فقد أعطى الله.

١٣٠ - كن بالأجل حارسا.

١٣١ - ما أكثر العِبَر وأقل الاعتبار.

١٣٢ - من بالغ بالخصومة أثم، ومن بالغ فيها ظَلَم.

١٣٣ - رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك.

١٣٤ - لا تصحب المائق فإنه يزين لك فعله، ويود أن تكون مثله.

١٣٥ - ما قال الناس لشيء طوبى له، إلا قد خبأ له الدهر يوم سوء.

١٣٦ - إذا أرذل الله عبداً حضر عليه العلم.

١٣٧ - من تذكر بُعد السفر استعد.

١٣٨ - بينكم وبين الرؤية حجاب من الغرّة (الغفلة).

١٣٩ - قطعَ العِلمُ عُذرَ المتعلِّمين.

١٤٠ - كل معاجل يسأل الإنظار، وكل مؤجل يتعلل بالتسويف.

١٤١ - لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكّا.

١٤٢ - إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فاقدموا.

١٤٣ - إن الطمع مورد غير مُصدِر، وضامن غير وفٍ.

١٤٤ - كلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده.

١٤٥ - الأماني تعمي عين البصائر.

١٤٦ - الحظ يأتي من لا يأتيه.

١٤٧ - صاحب السلطان كراكب الأسد، يُغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه.

١٤٨ - أحسنوا في عقب غيركم تُحفَظوا في عقبكم.

١٤٩ - إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً وإذا كان خطأً كان داءا.

١٥ - إن للخصومة فحما.

١٥١ - صحة الجسد من قلة الحسد.

١٥٢ - إذا أملقتم فتاجروا بالصدقة.

١٥٣ - الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

١٥٤ - مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.

١٥٥ - فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك.

١٥٦ - اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك.

١٥٧ - إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

١٥٨ - إذا كثرت المقدرة قلَّت الشهوة.

١٥٩ - احذروا نفار النعم من كل شارد بمردود.

١٦٠ - الكرم أعطف من الرحِم (الغرابة).

١٦١ - من ظن بك خيراً فصدق ظنه.

١٦٢ - أفضل الأعمال ما كرهت نفسك عليه.

١٦٣ - العاقل هو الذي يضع الشيء مواضعه.

١٦٤ - من أطاع التواني ضيَّع الحقوق، ومن أطاع الواشي ضيّع الصديق

١٦٥ - الحجر الغصيب في الدار رهن على خراجها.

١٦٦ - إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

١٦٧ - كفى بالقناعة مُلْكا.

١٦٨ - من يعطِ باليد القصيرة (يد المرء) يُعطَ باليد الطويلة (يد الله)

١٦٩ - من كساه الحياء ثوبه لم يرَ الناس عيبه.

١٧٠ - بكثرة الصمت تكون الهيبة.

١٧١ - الطامع في وثاق الذل.

١٧٢ - الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

١٧٣ - من أصبح على الدنيا حزيناً أصبح لقضاء الله ساخطاً.

١٧٤ - عُجبُ (إعجاب) المرء بنفسه أحد حسّاد عقله.

١٧٥ - اغظِ على القذى والأهم ترضى أبدا.

١٧٦ - من لان عوده كشفت أغصانه.

١٧٧ - الخلاف يهدم الرأي.

١٧٨ - من نال (أعطى) استطال (استعلى).

١٧٩ - في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال.

١٨٠ - حسد الصديق من سقم المودة.

١٨١ - أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

١٨٢ - ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.

١٨٣ - من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم

١٨٤ - إن لم تكن حليماً فَتَحَلَّم،

١٨٥ - من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر.

١٨٦ - الجود حارس الأعراض.

١٨٧ - الاستشارة عين الهداية.

١٨٨ - أشرف الغنى ترك المنى.

١٨٩ - من التوفيق حفظ التجربة.

١٩٠ - المودة قرابة مستفادة.

١٩١ - إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه.

١٩٢ - كل وعاء يضيق بما جعل فيه، إلا وعاء العلم فإنه يتسع به.

١٩٣ - أول عوض الحليم من حلمه إن الناس أنصاره على الجاهل

١٩٤ - لم يذهب من مالك ما وعظك.

١٩٥ - ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك.

١٩٦ - ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة.

١٩٧ - لا خير في الصمت عن الحلم، كما لا خير في القول بالجهل.

١٩٨ - ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة.

١٩٩ - ما شككتُ بالحق مذ أُريته.

٢٠٠ - للظالم البادي غداً بكفِّه عظة.

٢٠١ - من أبدى صفحته للحق هلك.

٢٠٢ - من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع.

٢٠٣ - قد أضاء الصبح لذي عينين.

٢٠٤ - ترك الذنب أهون من طلب المعونة.

٢٠٥ - كم من أكلة منعت أكلات.

٢٠٦ - الناس أعداء ما جهلوا.

٢٠٧ - من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ.

٢٠٨ - آلة الرياسة سعة الصدر.

٢٠٩ - ازجر المسيء بثواب المحسن.

٢١٠ - احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

٢١١ - اللجاجة (الخصومة) تسل (تذهب) الرأي.

٢١٢ - الطمع رق مؤبد.

٢١٣ - عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شرّه بالإنعام عليه.

٢١٤ - من ملك استأثر.

٢١٥ - من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها

٢١٦ - من كتم سره كانت الخيرة بيده.

٢١٧ - الفقر الموت الأكبر.

٢١٨ - من قضى حق من لا يقضى حقه فقد عبده

٢١٩ - لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنما يعاب من أخذ ما ليس له.

٢٢٠ - الإعجاب يمنع الازدياد.

٢٢١ - لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرة.

٢٢٢ - لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

٢٢٣ - عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته.

٢٢٤ - هلك امرؤٌ لا يعرف قدره.

٢٢٥ - لا تكن من يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجو التوبة بطول الأمل

٢٢٦ - العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال.

٢٢٧ - العلم حاكم والمال محكوم عليه.

٢٢٨ - إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.

٢٢٩ - قلة العيال أحد اليسارين.

٢٣٠ - التودد نصف العقل.

٢٣١ - الهم نصف الهرم.

٢٣٢ - ينـزل الصبر على قدر المصيبة.

٢٣٣ - كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ.

٢٣٤ - سوسوا إيمانكم بالصدقة.

٢٣٥ - حصِّنوا أموالكم بالزكاة.

٢٣٦ - ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء.

٢٣٧ - استنزلوا الرزق بالصدقة.

٢٣٨ - من أيقن بالخلف جاء بالعطية.

٢٣٩ - تنـزل المعونة على قدر المؤونة.

٢٤٠ - ما عال (افتقر) من اقتصد.

٢٤١ - الدنيا دار ممر لا دار مقر.

٢٤٢ - عظم الخالق عندك يصغِّر المخلوق لديك.

٢٤٣ - إن الدنيا دار صدق لمن صدَّقها.

٢٤٤ - غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان.

٢٤٥ - عجبت للبخيل يستعجل الفقـر، الـذي منـه هـرب، ويفقـره الغـنى

الذي إياه طلب.

٢٤٦ - وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة، ويكون غداً جيفة.

٢٤٧ - من قصر بالعمل ابتلى بالهم.

٢٤٨ - إضاعة الفرصة غصة.

٢٤٩ - نوم على يقين خير من صلاة في شك.

٢٥٠ - أعقلوا الخبر إذا سمعتموه، عقل رعاية لا عقل رواية.

٢٥١ - قيمة كل امرئ ما يحسنه.

٢٥٢ - من ترك قول (لا أدري) أصيبت مقاتله.

٢٥٣ - عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار.

٢٥٤ - إذا تم العقل نقص الكلام.

٢٥٥ - من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره

٢٥٦ - نَفَسُ المرء خُطاهُ إلى أجله.

٢٥٧ - كل معدود منتقض وكل متوقع آت.

٢٥٨ - الشفيع جناح الطالب.

٢٥٩ - فقد الأحبة غربة.

٢٦٠ - فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها

٢٦١ - لا تستحِ من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه

٢٦٢ - إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَل (تهتم) ما كنت.

٢٦٣ - عيبك مستور ما أسعدك جدّك.

٢٦٤ - أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

٢٦٥ - الصبر صبران، صبر على ما تكره، وصبر عما تحب.

٢٦٦ - الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة.

٢٦٧ - من حذّرك كمن بشّرك.

٢٦٨ - اللسان سبُعٌ إن خُلِّي عنه عَقَر (عض).

٢٦٩ - سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك.

٢٧٠ - قدر الرجل على قدر همته.

٢٧١ - احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع

٢٧٢ - فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه.

٢٧٣ - ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

٢٧٤ - أفضل الزهد إخفاء الزهد.

٢٧٥ - من جرى في عنان أمله عثر في أجله.

٢٧٦ - البخل عار.

٢٧٧ - صدر العاقل صندوق سرّه.

٢٧٨ - خذ الحكمة أنّى كانت.

٢٧٩ - الحكمة ضالة المؤمن.

٢٨٠ - إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار

٢٨١ - خذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

٢٨٢ - كن في الفتنة كابن اللبون (ابن الناقة) لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب.

٢٨٣ - أزرى (احتقر) بنفسه من استشعر الطمع.

٢٨٤ - رضيَ بالذل من كشف عن ضُرِّه.

٢٨٥ - هانت عليه نفسه من أمَّرَ عليها لسانه.

٢٨٦ - الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي.

٢٨٧ - الجبن منقصة.

٢٨٨ - الفقر يخرس الفَطِنَ عن حجّته.

٢٨٩ - العجز آفة.

٢٩٠ - الصبر شجاعة.

٢٩١ - نعم القرين.

٢٩٢ - العلم وراثة كريمة.

٢٩٣ - الفكر مرآة صافية.

٢٩٤ - من رضيت عن نفسه كثر الساخط عليه.

٢٩٥ - من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٢٩٦ - من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب

٢٩٧ - إذا رأيت ربك، سبحانه، يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره

٢٩٨ - كن سمحاً ولا تكن مبذراً.

٢٩٩ - كن مقدِّراً ولا تكن مقتِّراً.

٣٠٠ - من أطال الأمل أساء العمل.

٣٠١ - لا قربة بالنوت بالفرائض.

٣٠٢ - قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه.

٣٠٣ - سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك.

٣٠٤ - الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار

٤٠٥ - أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

٤٠٦ - المال مادة الشهوات.

٣٠٧ - فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

٣٠٨ - كل معدود منقوضٍ، وكل متوقع آت.

٣١٠ - إن الأمور إذا اشتبهت اعتُبِر آخرها بأوّلها.

٣١١ - رأي الشيخ أحب إليَّ من جَلَبهِ الغلام.

٣١٢ - من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

٣١٣ - إن هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائق الحكم.

٣١٤ - طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة

٣١٥ - لا يقيم أمر الله سبحانه إلاّ من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع.

٣١٦ - لا مال أعود من العقل.

٣١٧ - لا ربح كالثواب.

٣١٨ - لا حسب كالتواضع.

٣١٩ - لا قائد كالتوفيق.

٣٢٠ - لا شرف كالعلم.

٣٢١ - لا مظاهرة أوثق من المشاورة.

٣٢٢ - شتان ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره.

٣٢٣ - من قصّر بالعمل ابتُلي بالهم.

٣٢٤ - استقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك.

٣٢٥ - إن لله ملكاً ينادي في كل يوم: لِدوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب.

٣٢٦ - لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.

٣٢٧ - كلُّ شيءٍ مملول إلاَّ الحياة.

٣٢٨ - التودّد نصف العقل.

٣٢٩ - الهم نصف الهرم.

٣٣٠ - هلك خُزّان الأموال وهم أحياء.

٣٣١ - هلك امرؤ لم يعرف قدره.

٣٣٢ - لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرَجِّي التوبة بطول الأمل.

٣٣٣ - لكل مقبل إدبار، وما أدبر كأن لم يكن.

٣٣٤ - لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

٣٣٥ - الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم.

٣٣٦ - اعتصموا بالذم في أوتادها (رجالها).

٣٣٧ - عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شرَّهُ بالإنعام عليه.

٣٣٨ - من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن.

٣٣٩ - قد أضاء الصبح لذي عينين.

٣٤٠ - من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ.

٣٤١ - آلة الرياسة سعة الصدر.

٣٤٢ - ازجر المسيء بثواب المحسن.

٣٤٣ - احصر الشر في صدر غيرك بقلعه من صدرك

٣٤٤ - الطمع رقٌّ مؤبَّد.

٣٤٥ - لم يذهب من مالك ما وعظك.

٣٤٦ - الجود حارس الأعراض.

٣٤٧ - العفو زكاة الظفر.

٣٤٨ - السلو (النسيان) عوضك ممن غدر.

٣٤٩ - الاستشارة عين الهداية.

٣٥٠ - من لان عوده كَثُفَتْ أغصانه.

٣٥١ - في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال.

٣٥٢ - حسد الصديق من سقم المودَّة.

٣٥٣ - أكثر مصارع العقول تحت بروق المعامع.

٣٥٤ - من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم.

٣٥٥ - الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين.

٣٥٦ - الطامع في وثاق الذل.

٣٥٧ - من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه

٣٥٨ - العاقل هو الذي يضع الشيء مواضعه.

٣٥٩ - من الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد.

٣٦٠ - إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

٣٦١ - إذا كثرت المقدرة قلّت الشهوة.

٣٦٢ - الكرم أعطف من الرحم.

٣٦٣ - إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً.

٣٦٤ - لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً.

٣٦٥ - إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.

٣٦٦ - قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول منه.

٣٦٧ - من تذكّر بُعد السفر استعد.

٣٦٨ - قطع العلم عذرَ المتعلمين.

٣٦٩ - إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم.

٣٧٠ - لو رأى العبد الأجل ومصيره، لأبغض الأمل وغروره.

المصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلف

- أ -

القرآن الكريم

١ - إحياء علوم الدين / الغزالي.

٢ - أخبار أبي تمام / الصولي.

٣ - أخبار شعراء الشيعة / أبو عبد الله الخراساني.

٤ - الأخبار الطوال / الدنيوري.

٥ - الأدب الجاهلي / طه حسين.

٦ - أدب الكاتب / ابن قتيبة.

٧ - الإرشاد / المفيد.

٨ - الاستيعاب / ابن عبد البر.

٩ - الأُسلوب / أحمد الشايب.

١٠ - الأشباه والنظائر / السيوطي.

١١- الاشتقاق / ابن دريد.

١٢ - الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني.

١٣ - إصلاح المنطق / ابن السكيت.

١٤ - إعجاز القرآن / الباقلاني.

١٥ - إكمال كنز العمال / الحنفي.

١٦ - الأغاني / أبو الفرج الإصفهاني.

١٧ - أمالي القالي / أبو علي.

١٨ - أمالي المرتضى / المرتضى.

١٩ - أمالي اليزيدي / عبد الله بن عباس اليزيدي.

٢٠ - الإمام علي بن أبي طالب / عبد الفتّاح عبد المقصود.

٢١ - الإمامة والسياسة / ابن قتيبة.

٢٢ - أنباه الرواة على أنباء النحاة / علي بن يوسف القفطي.

٢٣ - أنساب الأشراف / البلاذري.

٢٤ - الإنسكلوبيديا الإسلامية.

٢٥ - أيام العرب في الجاهلية.

- ب -

٢٦ - البدء والتاريخ / مظهر بن طاهر المقدسي.

٢٧ - بلاغة الإمام علي / أحمد محمد الحوفي.

٢٨ - البيان والتبيين / الجاحظ.

- ت -

٢٩ - تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون.

٣٠ - ابن الوردي / عمر بن المظفر بن الوردي.

٣١ - آداب اللغة العربية / جرجي زيدان.

٣٢ - الأدب العربي في العصور الإسلامية / بيومي السباعي.

٣٣ - تاريخ الإسلام / حسن إبراهيم حسن.

٣٤ - تاريخ الخلفاء / السيوطي.

٣٥ - تاريخ الخميس / حسين بن محمد حسن الديار بكري.

٣٦ - تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري.

٣٧ - تاريخ اليعقوبي / أحمد بن إسحاق اليعقوبي

٣٨ - تحف العقول / ابن شعبة.

٣٩ - تذكرة الحفاظ / الذهبي.

٤٠ - ترجمة علي بن أبي طالب / أحمد زكي صفوة.

٤١ - تصنيف نهج البلاغة / لبيب وجيه بيضوني.

٤٢ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي / أنيس المقدسي.

٤٣ - تقريب التهذيب / ابن حجر العسقلاني.

٤٤ - التوحيد / الصدوق.

٤٥ - تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني.

- ج -

٤٦ - جمهرة أنساب العرب.

- ح -

٤٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم الإصفهاني.

- خ -

٤٨ - خزانة الأدب / البغدادي.

٤٩ - خصائص أمير المؤمنين / الشريف الرضي.

٥٠ - = = = / النسائي.

٥١ - خصائص العشرة الكرام البررة / الزمخشري

٥٢ - الخطابة في صدر الإسلام / محمد ظاهر درويش.

- د -

٥٣ - درة الغواص في أوهام الخواص / أبو محمد الحريري.

٥٤ - دستور مظالم الحكمة ومأثور مكارم الشِيَم / القضاعي.

to the text that you want to عنوان ٢Error! Use the Home tab to apply

appear here. ٢٢٥.....

٥٥ - دعائم الإسلام / أبو حنيفة النعمان.

٥٦ - دلالة الألفاظ / إبراهيم أنيس.

٥٧ - ديوان ابن الفارض.

٥٨ - =ابن الرقيات.

٥٩ - =أبي تمام.

٦٠ - =أبي طالب.

٦١ - =أبي العتاهية.

٦٢ - =أبي نواس.

٦٣ - =الأخطل.

٦٤ - =الأعشى.

٦٥ - =الأعشين.

٦٦ - =الأفوه الأودي.

٦٧ - امرئ القيس.

٦٨ - =أوس بن حجر.

٦٩ - ديوان البحتري.

٧٠ - = بشار بن برد.

٧١ - = بشر بن خازم.

٧٢ - = جرير.

٧٣ - = حاتم الطائي.

٧٤ - = حسان بن ثابت الأنصاري.

٧٥ - =الحطيأة.

٧٦ - ديوان الحماسة للتبريزي.

٧٧ - ديوان الحماسة / للمرزوقي.

٧٨ - = حميد بن ثور الهلالي.

٧٩ - = الحميري،

٨٠ - = الخنساء.

٨١ - = دعبل الخزاعي.

٨٢ - =زهير بن أبي سلمى.

٨٣ - = سحيم بن عبد الحسحاس.

٨٤ - =سقط الزند / لأبي العلاء المعري.

٨٥ - =الشريف الرضي.

٨٦ - =طرفة بن العبد.

٨٧ - =الطرمّاح.

٨٨ - = العباس بن الأحنف.

٨٩ - =عبيد ابن الأبرص.

٩٠ - =العرجي.

٩١ - =عروة بن الورد.

٩٢ - =علي بن الجهم.

٩٣ - =عمر بن أبي ربيعة.

٩٤ - =عنترة بن شداد.

٩٥ - = الفرزدق.

٩٦ - = قيس بن الحطيم.

٩٧ - = كعب بن زهير.

٩٨ - ديوان لبيد.

٩٩ - = مجنون ليلى.

١٠٠ - = محمد بن هاني.

١٠١ - = مسلم بن الوليد.

١٠٢ - = معن بن زائدة.

١٠٣ - = المفضَّليات.

١٠٤ - = النابغة الذبياني.

١٠٥ - = = الجعدي.

١٠٦ - = الهذليين.

- ر -

١٠٧ - الرسالة القشيرية / القشيري.

١٠٩ - رغبة الآمل / المرصفي.

١١٠ - الرياض النضرة.

- ز -

١١١ - زهر الآداب.

- س -

١١٢ - سرح العيون.

١١٣ - سلوان المطاع.

١١٤ - سيرة ابن هشام.

- ش -

١١٥ - شذرات الذهب / ابن العماد.

١١٦ - شرح مختار بشَّار.

١١٧ - = المعلَّقات السبع / التبريزي.

١١٨ - = نهج البلاغة / ابن أبي الحديد.

١١٩ - = = = = / ميثم البحراني.

١٢٠ - شرح الهاشميات محمد محمد الرافعي.

١٢١ - شعراء النصرانية.

١٢٢ - الشعر والشعراء.

١٢٣ - شواهد المغني للسيوطي.

- ص -

١٢٤ - الصحاح الجوهري.

١٢٥ - صحيح البخاري.

١٢٦ - = مسلم.

١٢٧ - صفة الصفوة / ابن الجوزي.

١٢٨ - الصناعتين / أبو هلال العسكري.

١٢٩ - الصواعق المحرقة / ابن حجر.

١٣٠ - صور البديع / علي الجندي.

- ط -

١٣١ - طبقات الشعراء / ابن سلام الجمحي.

١٣٢ - الطبقات الكبرى / ابن سعد.

- ع -

١٣٣ - عبقرية الإمام علي / عباس محمود العقاد.

١٣٤ - العقد الفريد / ابن عبد ربه.

١٣٥ - علي بن أبي طالب سلطة الحق / عزيز السيد جاسم.

١٣٦ - علي صوت العدالة الإنسانية / جورج چرداغ.

١٣٧ - علي نبراس ومتراس / سليمان كتّاني.

١٣٨ - العمدة / ابن رشق.

١٣٩ - عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب / ابن قتيبة.

١٤٠ - عيون الأخبار / ابن قتيبة.

- غ -

١٤١ - غرر الحكمة ودُرر الكلمة / الآمدي.

- ك -

١٤٢ - الكامل في الأدب / المبرد.

١٤٣ - الكامل في التاريخ / ابن الأثير.

١٤٤ - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين / الشريف الرضي.

١٤٥ - كفاية الطالب.

١٤٦ كتابات الجرجاني.

١٤٧ - الكتابة والتعريض / الثعالبي.

- ل -

١٤٨ - اللآلئ - البكري.

١٤٩ - لسان العرب / ابن منظور.

١٥٠ - لسان الميزان / العسقلاني.

- م -

١٥١ - ما هو نهج البلاغة / هبة الله الشهرستاني الحسيني.

١٥٢ - مرآة الجنان / اليافعي.

١٥٣ - المثل السائر / ابن الأثير.

١٥٤ - المجازات النبوية / الشريف الرضي.

١٥٥ - مجالس ثعلب.

١٥٦ - المحاسن والآداب / أبو جعفر البرقي.

١٥٧ - المحاسن والمساوئ / إبراهيم البيهقي.

١٥٨ - محاضرات الأُدباء.

١٦٠ - مختصر تاريخ البشر.

١٦١ - مستدرك نهج البلاغة / هادي كاشف الغطاء.

١٦٢ - مروج الذهب / المسعودي.

١٦٣ - المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف / الإبشيهي.

١٦٤ - المسند / الإمام أحمد.

١٦٥ - مصادر نهج البلاغة / عبد الله نعمة.

١٦٦ - المصون في الأدب / أبو أحمد العسكري.

١٦٧ - معاهد التنصيص / الشريف الرضي.

١٦٨ - معجم الأُدباء / الحموي.

١٦٩ - معجم البلدان / الحموي.

١٧٠ / مغني اللبيب / البغدادي.

١٧١ / مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / نجم الدين العسكري.

١٧٢ - مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب / صالح القزويني.

١٧٣ - المقتضب / المبرد.

١٧٤ - المنتقى من تاريخ بغداد / الحداد الحنفي.

١٧٥ - المؤتلف والمختلف / الآمدي.

١٧٦ - مودَّة القربى / الهمداني.

١٧٧ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال / محمد الذهبي.

١٧٨ - المئة المختارة من كلامه (ر) / الجاحظ.

- ن -

١٧٩ - النثر الفني في القرن الرابع / زكي مبارك.

١٨٠ - النثر الفني وأثر الجاحظ فيه / عبد الحكيم بليغ.

١٨١ - نقض العثمانية / أبو جعفر الإسكافي.

١٨٢ - النهاية / ابن كثير.

١٨٣ - نهج البلاغة / د. صبحي الصالح.

١٨٤ - = = / عمر فروخ.

١٨٥ - = = / محمد عاشور وإبراهيم البنا

١٨٦ - = = / محمد عبدة.

١٨٧ - = = / محمد محيي الدين عبد الحميد.

- ف -

١٨٨ - فجر الإسلام / أحمد أمين.

١٨٩ - الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي.

١٩٠ - الفن ومذاهبه في النثر العربي / شوقي ضيف.

- و -

١٩١ - وفيات الأعيان / ابن خلِّكان.

١٩٢ - وقعة صفين / نصر بن مزاحم.

- ي -

١٩٣ - ينابيع المودَّة / القندوزي الحنفي.

المحتويات

الضوء الأول: التمثيل ٥

الضوء الثاني: التراث الشعبي ٣٣

صيد الحيوان..... ٣٥

التطيُّر والفأل..... ٣٧

الضوء الثالث: متفرِّقات ٨١

الرياء ٨٣

صلة الرحم ٨٤

الاعتذار ٨٥

المغالاة..... ٨٦

بين معاوية وعمرو بن العاص..... ٨٩

بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان ٩٠

إفشاءُ السر ٩١

الخمر، وعمر بن الخطاب ٩٢

العقوبة ١٠٦

الوصف ١٠٧
القضاة..... ١٠٧
الصدقات..... ١١٠
الفلسفة..... ١١١
الاستجارة..... ١١٢
اسْتِقْراءُ المسْتَقْبَل..... ١٢٣
الشيب والخضاب..... ١٢٥
الأجوبة المسكتة..... ١٣٠
المسك..... ١٣٢
عبد الله بن الزبير..... ١٣٦
ذم الحرب..... ١٥١
الضوء الرابع: المختار من أقوال الإمام علي عليه السلام..... ١٥٣
النصح والإرشاد..... ١٥٦
النقد والتعريض..... ١٥٩
العتاب والتقريع..... ١٦٣
الزهديات..... ١٦٧
البعثة النبوية..... ١٧١
التحذير من الفتن..... ١٧٢
الوصف العجيب..... ١٨٢
الأحكام الشرعية..... ١٨٣
الوصايا والتعاليم..... ١٨٦
المصادر والمراجع..... ٢٢١